الجمهوريـــــة الجزائريـــة الدّيمقراطيّـــة الشّعبيّـــة

وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد ـــــــ تلمسان ـــــ

كليّة الآداب و اللّغـــات قسم اللّغة والأدب العربيّ

الموضوع:

التّوجيه النّحوي عند عبد القاهر الجرجاني
دراسة في المصطلح و المنهج

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في النّحو والصّرف

إعداد الطّالبة :

فتيحة عبّاس

إشراف :

أ.د.عبد الجليل مرتاض

أعضاء لجنة المناقشة

د. بوعلي عبد الناصر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. عبد الجليل مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
د. خالدي هشام	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا
د. قريش أحمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا
د. ولي حاده عبد الحكيم	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا

السّنة الجامعيّة :

1433هـ_1434هـ

2012م_2013م

مـــــــــقـــــــــــدّمـــــــــــــة:

الحمد لله ربّ العالمين الذّي جعل العربيّة أشرف لسان، وأنزل كتابه المحكم في أساليبها بالحسّان، وأفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم على خاتم الأنبياء، وهو أفصح العرب لهجة، وأبلغهم حجّة، وأقوم الدّعاة إلى الحقّ محجّة وعلى آله وصحبه الأمجاد الذّين فتحوا البلاد ونشروا لغة التّنزيل في الأغوار و الأنجاد وحبّبوها إلى الأعجمين حتّى استقامت على ألسنتهم على النّطق بالضّاد، أمّا بعد:

فإنّ علم النّحو واسع بموضوعاته،شاسع بأبوابه يتطلّب البحث الجادّ والمستمّر في تتبّع مشكلاته ومعضلاته وقد اخترت في مذكّرتي الولوج إلى باب من أبوابها بإثارة قضيّة هامّة،تأخذ من عمود النّحو العربيّ قسطها حصرتها في"التّوجيه النّحوي عند عبد القاهر الجرجاني :دراسة في المصطلح و المنهج".

ولقد كان البحث في هذا الموضوع،مراديَ منذ بداية انتسابي إلى قسم اللّغة العربيّة وآدابها،و لعلّ ما دفعني إلى ذلك مجال تخصّصي أوّلا،ورغبة الاستفادة

مــــــــــقـــــــــــدّمــــــــــة

العلميّة،مع شغف البحث في ميدان الدّراسات النّحويــــــــــــــــــــــــــّــــــــــــــــــــة والصّرفيّة ثانيا،فضلا عن فضول رافقني طيلة انجذابي في مسمعي إلى شخصيّة عبد القاهر وشهرته علــى ألسنة الدّارسين والباحثين المدرّسين من الأساتذة الأفاضل،فهيّأت لنفسي قراءات عديدة حــول هذه الشّخصيّة الفذّة،فبدا لي عبد القاهر إماما في علم النّحو يُتابعه بعناية عند أعلامه ويُبدي فيه رأيه الحصيف ويوجّهه بعد استلامه بأمانة من أهله،وقد رأيت ربط هذا التّوجيه النّحوي بمحورين أساسيّن في العنوان،همـــــــــــا المصطلح والمنهج،فالمصطلح عنده يحومُ دوماً حول النّظم الذّي جعل عبد القاهر يجهر باكتشافه،ويفخــــــــــــــــــــــــــر بابتداعه له،وأنّه لم يسبق لغيره أن انتبه إليه وهو يصرّح به في قوله:"إلاّ بما أصبحت أبديه".ولم يبتعد عبد القاهر الجرجاني عن مكوّنات هذا المصطلح في جوانبها التّي يتّم عن طريقها الكلام وهـــــــــــــــــــــــــــــي أركان في صناعة النّصّ عامّة ويتوزّع المصطلح في مفهومه على البناء والتّأليف والتّعليق والتّركيب،وأمّا المنهج

فهو يتّبع فيه مسلكين في طريقتين أساسيتين،إحداهما طريقة الموافقة في الاحتذاء والاقتداء بالسّابقين لعصره في القواعد العامّة لمعياريّة النّحو العربيّ،ونستطيع أن نسمّيها في التّقسيم العلمي منهج الاتّباع ومنهج الابداع

ففي المنهج الأوّل يتّبِع ما تعلّق بالضّرورة بعمله في المصنّفات ويشتمل هذا العمل على شرحه وتفسيره لبعض مؤلّفات سابقيه،ومنها:كتاب الايضاح لأبي عليّ الفارسي،وكتاب المغني والمقتصد و كلاهما شرح لكتـــــــــــــــــــــــــاب الايضاح زيادة على كتاب التّكملة،فمن هذا الجانب يظهر عبد القاهر نحويّا مخلصا لسابقيه،وأمّا كتابه الخاصّ به في توجيه النّحو العربيّ فيتعلّق بدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة والرّسالة الشّافية والعوامل المائة.

وهو الكتـــــــــــــاب الذّي أعطاه منهجا إحصائيّا في التّنظيم والتّرتيب لجمع العوامل النّحويّة،وبه فاق سابقيه في ضبط قضايـــــــــــــــــــــــا العوامل وحصرها في تنظيم ترتيبها وأعطى النّحو العربيّ رؤية جديدة،بجوانب تعليقاته على شروح النّحـــــــــــــــــــــــاة السّابقين،وطريقة مناقشته

أفكارهـــــــــــــــــــــــــم وعروضهم لمسائل النّحو وخاصّة ما تعلّق بشروحاته لأبي عليّ الفارسي،وبعض من كتاب سيبويه.

وقد دعاني أمر التّوجيه النّحوي إلى القراءة حول هذه الرّؤية ومعرفة مضامينها من مصادرها ومراجعهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــا التّي اعتمدتها سندًا في الافادة منها،فكان اقترابي من النّحو العربيّ وهو ميزان لسان العرب،وازدادت عندي الفكرة كلّما أردت تضييق مجالها،وعلى الرّغم من ذلك،فقد حاولت إدراك بعض المراد،إذ جعلت مكتبـــــــــــــــــــــــــة والدي مرتعا لي،واستعنت بما فيها من مصادر ومراجع تخصّصت في عبد القاهر الجرجاني،وسرت علـــــــــــــــــــــــــــــى درب توجيهات أستاذي الفاضل الدّكتور عبد الجليل مرتاض.

فعدت إلى كتابات عبد القاهر في معظمها وهي المصادر الأساسيّة،وإلى مراجع دراسيّة قديمة وحديثة،فمن القديمة كتاب مراتب النّحويّين لأبي الطّيب اللّغوي،وطبقات النّحويّين واللّغويّين للزّبيدي،والأصول لابـــــــــــــــــــــــــن السرّاج وغيرها،ومن الكتب الحديثة عبد القاهر الجرجاني:بلاغته ونقده لأحمد مطلوب،ونظريّة

النّظـــم تطوّر وتاريخ لحاتم الضّامن،ونظريّة النظم وقيمتها العلميّة في الدّراسات اللّغويّة لوليد محمّد مراد،وقد انفردت هذه الدّراسة بمؤلّفات أستاذي المشرف الدّكتور عبد الجليل مرتاض ومنها العربيّة بين الطّبع والتّطبيع،والفسيـــــــــــــح في ميلاد اللّسانيات العربيّة وفي رحاب اللّغة العربيّة،وكان اعتمادي في هذه الدّراسة على المنهج الوصفـــــــــي التّحليلي،المعمول به في دراسة النّحو العربيّ،إذ استعرضت الظّاهرة النّحويّة كما يريدها عبد القاهر،وحلّلـــــــت أبعادها من باب الموافقة،وعلى ما هو قائم في أعمال السّابقين لعبد القاهر الجرجاني بزمن يقارب خمسة قرون أو ما يخالفهم به في الطّريقة والمفهوم والمنهج.

واقترحت تصميم هيكل البحث في أربعة فصول تسبقها مقدّمة وتلحقها خاتمة تناولت في الفصل الأوّل:الدّراسات العلميّة لدى عبد القاهر الجرجاني،وقسمته إلى ثمانية عناصر،وأفردت دراسة مستقلّة لكلّ عنصر من هذه العناصر؛ففي الفرع الأوّل تطرّقت إلى التّعريف بحياة عبد القاهـــــــــــــــــــــــــــر الجرجاني بدءا بنشأته،مترلته،أدبه،شيوخه،تلاميذه،إلى أن وصلت إلى تاريخ وفاته.

أمّا العنصر الثّاني فاهتمّ بالدّراسات القرآنيّة،وتمثّلت في خمسة عناصر مبيّنة.اسهاماته في الاغتراف مـــــــــــــــــــــــــــــن الثّقافة الإسلاميّة،حين مال إلى تأليفه لبعض الأعمال العلميّة ذات المجالات الإسلاميّة وهي:كتاب شرح الفاتحة،دُرج الدّرر في تفسير الآي والسّور،المعتضد،الشّرح الصّغير،الرّسالة الشّافية.

ثمّ انتقلت إلى العنصـــــــــــــــــر الثّالث،ووزّعته إلى أربعة عناصر،وعالجت فيه دراساته البلاغيّة،وذلك بذكر مؤلّفاته،من دلائل الإعجاز أسرار البلاغة،المدخل في دلائل الإعجاز وآراء الجرجاني.

وقد أخذ العنصر الرّابع في البحث كلّه حصّة الأسد وهي دراساته النّحويّة التّي هي موضوع بحثنا،إذ قسمته إلى سبع اهتمامات تمثّلت في مصنّفاته النّحويّـــة:

الإيجاز،المغني،المقتصد،التّكملة،العوامل المائة،الجمل،التّلخيص.ثمّ جاء العنصر الخامس يحتوي دراساته الصّرفيّة وهي عبارة عن كتاب ألّفه سمّاه"العمدة في التّصريف"يتضمّن أمورا علميّة تعلّقت بخاصيّة الصّرف.

وسجّلت في العنصر السّادس دراساته العروضيّة،حملت لنا كتابا واحدا سمّاه"كتاب في العروض".

وسابع هذه العناصر هي دراساته الأدبيّة حملت لنا كتابا واحدا أيضا سمّاه "المختار من دواوين المتنبـــّي والبحتري وأبي تمّام".

والعنصر الثّامن والأخير من الفصل الأوّل هي دراسات متنوّعة شملت ثلاثة مصنّفات لم يعرف إلى حـــــــــــــــــــــــــدّ الآن موضوعها وهي: التّذكرة، المفتاح، المسائل الـــمُشْكَلَة.

وكان الفصل الثّاني:"عبد القاهر الجرجاني بين النّحاة وموقفه منهم."وقسّمته إلى قسمين؛القســـم الأوّل ذكرت فيه النّحو عند سابقيه،انطلاقا من النّحو عند البصريّين وقفت على ذكر أبرز أعلام المدرسة البصريّة والذّين كان لهم ذكر في آراء الجرجاني و الاستشهاد بهم،لم أذكرهم كلّهم بل اكتفيت بذكر بعضهم وهـــــــــــــــــــم: الخليل،يونس بن حبيب،سيبويه،أبو الحسن

الأخفش،أبو عثمان المازني،أبو العبّاس المبرّد،الزّجاج.فكـــــــــــــــــــــــــــــان الأساس المعرفي عندهم أن اعتمدوا على طائفة من المصادر وهي:القرآن الكريم،الشّعر الجاهلي والإسلامـــــي والقياس.

والشّيء نفسه ذكرته عند الكوفييّن،فقمت بتبيان أشهر علماء المدرسة الكوفيّة وهم كالآتي:الكسائـــــــــــــــــــــــــــــي الفرّاء،ثعلب.فكان الأساس المعرفي لديهم أن انطلقوا من مصادر من:لغات الأعراب الشّعر العربّـــــــــــــــــــــــــــــــــي والقراءات ثمّ خصّصت العنصر الثّاني لآراء النّحاة وهي عبارة عن خلاصة لأبرز الأعلام الذّين كان لهـــــــــــــــــــــــم تأثير في اتّجـــــــــــــــــــــــاه الجرجاني وسبق أن ذكرناهم وهم:الخليل،يونس بن حبيب،سيبويه،أبو الحسن الأخفـــــــــــــــــــش أبو عثمان المازني،أبو

العبّاس المبرّد،الزّجاج،الكسائي،الفرّاء،ثعلب،إضافة إلى أبي عليّ الفارسي،وشيخـــــــــــــــه أبي الحسين الفارسي.

ثمّ عالجت في الفصل الثّالث،المنظور النّحوي لدى عبد القاهر الجرجاني،وقسّمته إلى قسمين،القســـــــــــــم الأوّل تناولت فيه توجيهه للنّحو،انطلاقا من منهج الموافقة على اعتبار قبوله والاقتداء بهدي النّحاة،من خـــــــــــــــــــــــلال موافقته النّحاة في القواعد العامّة التّي تتعلّق بالإعراب،في أسباب المرفوع والمنصوب والمجرور،حيث وجدنـــــــــــــاه ينحو منحى سابقيه من النّحويّين في تعريفاتهم للنّحو وأصوله،وهذا ما حقّقه من خلال كتابه العوامل المئة.

والقسم الثّاني:درست فيه منهج المخالفة وذلك في سير عمله على الجمع بين النّحو والبلاغة وربطهـــا ومخالفة النّحاة في الفصل بينهما، فبنى نظريّة كاملة على هذا الأساس سمّاها نظريّة النّظم.

وأفردنا دراســـة مستقلّة لهذه النّظريّة في القسم الأخير بتأسيسه نظريّة النّظم،وفي ذكر النّظم بين اللّغة

والاصطلاح وأوّليات الإشارة إلى فكرة النّظم وعبد القاهر الجرجاني ونظريّة النّظم.وكان آخر فصل في البحث هو:"عبد القـــــــــــــــــاهر الجرجاني بين المنهج والمصطلح".حاولت جاهدة تبيان المنهج الذّي سلكه الجرجاني والمصطلح النّحـــــــــــــــــــــــــــــــــوي عنده،فوصلت إلى معرفة منهجه التّقليدي في الاتّباع،والمصطلح النّحوي عنده لا يخرج عن الثّلاثيّة المكوّنة للكـــــــــــــــــــــــــــــــلام وهي الاسم والفعل والحرف،ومنهجه التّجديدي في الابداع والمصطلح النّحوي عنده ينحصر في المصطلحات الأخرى

وهي:النّظم،البناء،التّرتيب،التّعليق،والتّركيب.وخَلُصْتُ إلى أنّ الجرجاني قـــــــــام بتلخيص جهود العلماء السّابقين في منهجه التّقليدي ويتضمّن تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام وهو الشّائع في تداول العلماء من أنّ الكلم هي الاسم والفعل والحرف وهي الأقسام التّي تمثّل الأركان في جميع اللّغات التّـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي وافقت اللّغة العربيّة،وأمّا من حيث الدّلالة فيكون يدلّ على شيء أو حدث معيّن.ثمّ بحثت في القسم الآخر المنهج التّجديدي والمصطلح النّحوي عنده بذكر:المعنى

النّحوي،وذلك بذهابه إلى محاولة نقله للنّحو العربـــــــــــــــــي إلى مجال أوسع وهو ارتباطه بالبلاغة خاصّة وتحقيق علاقة بينه وبينها في عمليّة البحث غن العلائق في لسان العرب،فخرج بفكرة تعليق الكلام بعضه ببعض،وانطلق من أساس بعيد وهو ربط اللّغة بالفكر لأنّ اللّغة تعبّر عن معان والمعاني في الأصل وليدة الفكر،ولكن تنظيم هذه المعاني يمرّ بعلم النّحو في عمليّة التركيب والبنـــــــــــــــاء فسميّ بذلك كلّه "معاني النّحو" أو توخّي معاني النّحو.ثمّ تطرّقت إلى قضيّة التّناسق بين النّحو والنّظـــم.

فممّا لا شكّ فيه أن فكرة التّجديد عند عبد القاهر الجرجاني تكمن في سعيه الدّؤوب إلى فكرة الرّبط دومـــــا بين النّحو والبلاغة،وذلك بجمعهما في فكرة واحدة هي النّظم،فالنّظم عنده مبني على تركيب العلاقـــات النّحويّة بين أبوابه ومنها علاقة الإسناد،والعامل،والمعمول،وعمليّة التّعديّة.

وخصّصت قسما آخر،ذكرت فيه أمثلة نموذجيّة في التّفسير النّحوي،وهي مسألة تقديم المفعول به وتأخـــــــــــــــيره وحذفه.

فهو ينهج منهج النّحاة في عرض فكرة التّقديم والتّأخير ولكنّه يفضّلهم في الشّرح والتّبيين.وتحديد هـــــــــــــــــــــــــــــــذا التّوجيه النّحوي لدى الجرجاني يستند في أصله إلى دلالة معاني النّحو في صيغتها المختلفة ومنها باب التّقديم والتّأخير والنّفي،إذ القصد هنا،هو كيفيّة التّعبير النّحوي في تحقيق المعاني ؛وكان آخر جهد لي أن تكلّلـــــــــــــــــــــــــــــــت هذه المذكّرة بخاتمة سعيت فيها إلى تسجيل ما توصّلت إليه من نتائج محوريّة أعتبرها حصادا لهذا الجهـــد وثمرته المبتغاة. وفي سبيل تحقيق الغاية في حياتي العلميّة على وجه لائق،بذلت قصارى جهدي،ولم يكن ذلك بالسّهــــــــــــــــــــــــــــــــــــــل اليسير،فإن كنت قد أصبت في بعض ما ذهبت إليه،فذاك ما كنت أبتغي،وتلك الغاية التّي سعيت إليهـــــــــــــــــــــــــــا واجتهدت من أجل بلوغها وأشكر الله على توفيقه وتيسيره،وحسبي أن أكون طالبة علم تصيب وتخطـــــــــــــــــئ. وفي الأخير لا يسعني إلاّ أن أتقدّم بشكري الجزيل إلى أستاذي المشرف الدّكتور عبد الجليل مرتاض علـــــــــــــــــــى قبوله

الإشراف على هذه المذكّرة،وهو تشريف لي بمعناه الواسع،وتواضع أصيل في شخصه الكريـــم فمن السّعادة لي أن أحظى بهذه القيم السّامية من الإشراف والرّعاية العلميّة،كما أسجّل أسمى آيـــــــــــــــــــــــــــــات الشّكر والتّقدير إلى السّادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الموقّرة على تحمّلهم عبء القراءة والتّوجيه،لهـــــــــــــذه المذكّرة وبُغيتي في الختام أن يكون هذا الجهد بذرة غرس صالحة تؤتي ثمارها بإذن الله تعالى.

"اللّهم علّمني ما ينفعني،وانفعني بما علّمتني وزدني علما."

تلمسان في يوم الاثنين:25 جمادى الثّانية 1434ه

الموافق : 06 ماي2013م .

فتيحة عباس

أوّلا: حياة عبد القاهر الجرجاني

1* نشأته :

في مطلع القرن الخامس الهجري شهدت مدينة جرجان ميلاد أبي بكر عبد القاهر،بن عبد الرّحمن بن محمد الجرجاني،ارتبط لقبه بنسبة نسب مدينته،فهي المدينة التّاريخية ذات الحسن والجمال،المعروفة بمجالس العلم ومنتديات الفكر الزّاخرة بالنّشاط العلمي،المدينة الأعجميّة المشهورة في شمال إيران الواقعة بين طبرستان و خرسان،فتحها المسلمون صلحا في عهد عمر بن الخطّاب سنة 18ه،عرف أهلها بالمروءة والوقار.

قال عنها ياقوت الحموي إنّ فيها :

"مياها كثيرة وضياعا عريضة وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنا من جرجان على مقدارها وذلك أنّ بها الثّلج والنّخل وبها فواكه الصّرود والكروم وأهلها يأخذون أنفسهم بالتّأني والأخلاق المحمودة ..... "(1)

إنّها جرجان التّي أنجبت لنا علاّمة في علوم العربيّة،حيث نشأ الجرجاني في أسرة رقيقة الحال،لم تسمح له ظروفه الماديّة بالانتقال خارج بلدته فظلّ فيها لا يبرحها،شهد فيها جوا سياسيّا صاخبا وصراعا مذهبيّا حادّا،فرأى أن يعكف على طلب العلم والإخلاص له،كان مستقلا عن الحياة السّياسيّة والوصول إلى السّلطة،وجد في ظلال الدّين الحياة الهادئة،تلقّى العلم على يد علماء كبار سيأتي ذكرهم في العناصر الموالية.

1-ياقوت الحموي :معجم البلدان ،بيروت ،دار صادر،د.ط،د.ت،ج3،ص48،49.

* مترلته :

حظي عبد القاهر الجرجاني بمكانة مرموقة ومترلة عاليّة،فكان شيخ العربيّة،من كبار أئمّتها في عصره،أبدع وتفنّن في علوم العربيّة،فشهد له جلّ المؤرّخين والباحثين بالإجماع على أنّه كان عظيم النفس،ورعا،قانعا بما وهبه الله له.زاهدا في الدّنيا وأهلها معرضا عن زينتها،اتّسم بسعة العلم.فنجده نحويّا كبيرا،متكلّما أشعريّا،فقيها شافعيّا،لغويّا،مفسّرا وشاعرا،ذا علم كبير.يروى أنّه "دخل عليه لصّ و هو في الصّلاة فأخذ جميع ما في البيت وهو ينظر إليه ولم يقطع صلاتـــــه "[1]

فنجد له في مختلف الكتب ذكرا فقد ترجم له الكثير من العلماء ونذكر منهم على سبيل المثال رأي ابن الأنباري فيه:"فإنّه كان من أكابر النّحويّين".[2]

و كما ذكره القفطي و السّيوطي و ابن العماد الحنبلي مع النّحاة ،و ذكره السّبكي و الأسنوي في طبقات الشّافعية،والباخرزي بين الأدباء،وابن شاكر الكتبي في الأعيان،واليافعي و ابن تعزي بردي في كتـــب التأريخ.ويعدّ كتاباه:دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة من أهمّ المصّنفات التّي اشتهر بها،و كان في هذا المصنّف الأخير قد جعل منطلقه من فكرة الإعجاز،و أسهم في معالجة كثير من النظريّات النّقدية،وقرّر أنّ القرآن الكريم معجز في نظمه و تأليفه،و تطرّق إلى العديد من القضايا اللّغوية،البلاغيّة،النّحوية،النّقدية،وأدبيّـــة التّفسير للقرآن الكريم.

1-ينظر:السّبكي:طبقات الشّافعية الكبرى تح محمود محمد الطّناحي وعبد الفتاح محمد الحلو.القاهرة ، د،ط ، 1386ه، 1967م، ج5،ص149 .

وينظر الأسنوي:طبقات الشّافعية،تح عبد الله الجبوري،بغداد،دط،1390 ه،1970م،ج2،ص 492 .

وينظرالحنبلي:شذرات الذّهب في أخبار من ذهب القاهرة،دط،1350ه،ج3ص340.
2-ابن الأنباري :أبو البركات كمال الدّين عبد الرّحمن بن محمد،نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء،تح إبراهيم السّامرائي،بغداد،د ط،1959م ص 248 .

و عليه تتضّح من هذه الرّؤية مترلة عبد القاهر الفذّة و المبدعة التّي عملت على بعث التّواصل والتّكامل بين علوم العربيّة،ونبذ القطيعة،وبلورت النّظريّة المهمّة وهي نظريّة النّظم.فيكفينا فخرا أن نحظى بمقولة طاش كبرى زادة:" و لو لم يكن له سوى كتاب " أسرار البلاغة" و" دلائل الإعجاز" لكفاه شرفا وفخرا" (1)

1- أدبه :

إنّ المتأمّل في حياة عبد القاهر الجرجاني وظروف نشأته يجده ذا مّا لزمانه حيث كان كثيرا لشّكاية منـــــــــــــــــه ومن أهله.فقليل ما حفظته لنا التّراجم من شعره وهي آهات يعبّر بها عن ألمه وسخطه لزمان تشـــــــــــــــــــــــــــــــــــاءم منه،فيقول:

أَيُّ وَقْتٍ هَذَا الذِّي نَحْنُ فِيـــــــــــــــــــــــــــه
قَدْ دَجَا بِالقِيَاسِ وَالـــتَّـــشْبِيـــــــــــــــــــــــــــه
كُلَّمَا سَارَتِ العُقُولُ لِـــكـــــــــــــــــــــــــــــيْ تَـــقْطَعَ تِيهًا تَوَغَّلَتْ فِي تِيـــــــــــــــــــــــــــهِ (2)

و يقول أيضا :

هَـــــــذَا زَمَـــــانٌ لَيْـــــسَ فِـــــيـــــــــــــــــــــــــــــــهِ

سِوَى الـــــنَّذَالَةِ وَالجَهالَـــةْ

لَـــــمْ يَــــــرْقَ فِــــيهِ صَاعِـــدٌ

إِلاَّ وَسُــلَّمُــهُ الـــنَّـــذَالَـــةْ(3)

1ـــــ طاش كبري زادة:مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة،تح:كامل بكري وعبد الوهّاب أبو النور،القاهرة،دط،دت،ج1،ص170.

2ـــالقفطي:انباه الرّواة على أنباه النّحاة،تح:محمّد أبي الفضل،مطبعة دار الكتب المصرية،دط،1952م،ج2،ص190.

3–الباخرزي:دمية القصروعصرة أهل العصر،تح عبد الفتّاح محمد الحلو،دارالفكر العربي بمصر:د،ط،د.ت،ج2،ص18.

ويشتدّ ألمه حينما رأى نفسه فقيرا لا يأبه به أحد مع ما نال من العلم والمنزلة فيزداد ألمه ويقول:

كَبِّرْ عَلَى الــعِلْمِ يَا خَلِيـــــــلِي وَمِلْ إِلَى الجَهْلِ مَيْلَ هَـــائِـــــــمِ

وَ عِشْ حِمَارًا تَعِشْ سَـــــعِيـــــــدًا

فَالسَّعْدُ فِي طَالِعِ البَهَائِـــــــمِ

(1)

ويكثر تذمرّه وضجره من المعيشة الضّنكى التّي كان يعيشها حتّى وصوله سنّ الثّانية والخمسين من عمره الذّي لا يتجاوز الرّابعة والسّبعين،إذ يقول:

أَرِّخْ باثنين وَخَـــــمْسِـــــينَـــــا

فَلَيْتَ شِعْرِي مَا قَضَى فِـــــينَـــــا

نُسَرُّ بِالحَوْلِ إِذَا مَا انْقَضَـــــى

وَفِي تَقَـــــضِّيهِ تَقَـــــضِّـــينَـــــا

(2)

وفي مشهد آخر يصوّر لنا عبد القاهر الجرجاني نفسه الأبيّة التّي ترفض النّفاق رغم أنّه يدرك أنّه في حاجة إلى الاتصال بولاة الأمر فيذكر لنا أبياتا:

خـــَلَعَ النَّـــــاسُ

إِهَابًــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ــا

وَتَـــــبَـــــدَّوْا فِـــــي

اِهـَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــ

ـــــــــــابِ

وَأَرَى نَفْـــــسِي

تَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــأْبَى

غَيْرَ مَا كَـــــانَ

ثِيَـــــــــابِـــــــــــــــــــــــــ

ـــ

ـــــــــــي

إِنَّ أَتْرَابًا مِنَ

المـَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالِ

بِـــــــــلَثْمِ

لِـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــتُّـــــــــــــــــ

رَا

بِ

لَيْسَ مِنْ شِيَمِ الكَرِيمِ الخِيَمِ

وَالمحْضِ

اللُّبَابِ[3]

1–القفطي: إنباه الرواة،ج2،ص190.

2–الكتبي:فوات الوفيات، بولاق مصر،دط،دت ،ج1،ص 379 .

3–الخيم:الطبيعةوالسجية.

لَيْسَ بِالإِقْبَالِ مَا

نِيلَ

بِتَقْبِيلِ

الكِلاَبِ

إنَّ باغِي الرِّبْحِ وَالخُسْـــــرَانِ

فِـــي بَـــابٍ وَبَـــــــابِ

تَاجِـــرٌ غَـــيْرُ بَصِيــــــرٍ

بِمَقَادِيـــرِ الحِسَـــــابِ[1]

ويثيرنا عبد القاهر في محاولته للمدح فنلاحظ أنه لم يعرّف بممدوحه،وكانت تجربته فاشلة فيقول:

لاَ يُوحِشَنَّكَ أَنَّهُمْ مَا ارْتَاحُوا مِمَّا جَلَاهُ عَلَيْهِمْ المـــــدَّاحُ

فَهُمْ كَقَوْمٍ عُلِّقَتْ بِإِزَائِـــهِـــمْ بِيضُ المرَائِي وَالوُجُوهُ قِبَـــاحُ[2]

وعلّق الدّكتور أحمد بدوي على هذين البيتين بقوله:"ولست أدري من هؤلاء الذّين مدحهم فلم يعنَـــوا بمدحه،إذ ليس بين يدي من شعره ما مدح به أحدا سوى الوزير نظام الملك أبي علي الحسن بن علي وزير السّلاجقة،وكان قد اشتغل بالحديث و الفقه،كثيرا ما انفرد

بإدارة شؤون الدّولة ويذكر له التّاريخ أنّه أوّل من أنشأ المدارس في البلاد". [3]وقد مدح عبد القاهر الوزير نظام الملك فجاء شعره على النّحو الآتي:

لَوْ جَاوَدَ الغَيْثُ غَـــــــدًا بِالجُودِ مِنْهُ
أَجْـــــــدَرَا

أَوْ قِيسَ عُرْفُ عُرْفِـــــــهِ بِالمِسْكِ كَانَ
أَعْـــــــطَـرَا

ذُو شِيَمٍ لَوْ أَنَّهَـــــــا فِي الماءِ
تَغَيَّـــــــرَا

وَ هِمَّةٌ لَوْ أَنَّهَـــــــا لِلنَّـــجْمِ مَا
تَفَـــــــوَّرَا

1–الباخرزي:دمية القصر،ج2،ص19.

2-المرجع السّابق:ص19.

3 -أحمد بدوي:عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربيّة،المؤسسة المصريّة العامّة،ط2،دت،ص11.

لَوْ مَسَّ عُودًا يَابِسًا أَوْرَقَ ثُمَّ أَثْمَرَا[1]

ومن شعره أيضا يدعو فيه إلى التّمسّك بالفضيلة ونبذ الرّذيلة.فيقول:

تَذَلَّلْ لِمَنْ إِنْ تَذَلَّلْتَ لَهُ يَرَى ذَاكَ لِلْفَضْلِ لاَ لِلْبَلَهِ

وَجَانِبْ صَدَاقَةَ مَنْ لاَ يَزَالُ عَلَى الأَصْدِقَاءِ يَرَى الفَضْلَ لَهُ[2]

واللاّفت للانتباه والشّاغل الذّي شغل العامّة والخاصّة من طائفة العلماء حين يلحّون على البحث في القصيدة التّي نظمها عبد القاهر الجرجاني في مقدمة كتابه"دلائل الإعجاز"،وعمد إلى أفكاره في النّظم فنظمها شعرا والأبيات على حدّ قوله هي:

إِنِّي أَقُولُ مَقَالًا،لَسْتُ أُخْفِيهِ

وَلَسْتُ أَرْهَبُ خَصْمًا إِنْ بَدَأَ فِيهِ

مَامِنْ سَبِيلٍ إِلَى إِثْبَاتِ مُعْجِــــــــزَةٍ فِي النَّظْمِ إِلَّا بِما أَصْبَحْتُ أُبْدِيـــــــــــــهِ

فَمَالِنَظْمِ كَلاَمٍ أَنْتَ نَاظِمُـــهُ مَعْنَى سِوَى حُكْمِ إِعْرَابٍ تُزْجِيـــــــــــــهِ

اِسْمٌ يَرَى،وَهُوَ أَصْلٌ لِلْكَلَامِ فَمَا يَتِمُّ مِنْ دُونِهِ قَصْدٌ لِمُنْشِيـــهِ

وَآخَرُ هُوَ يُعْطِيكَ الزِّيَادَةَ فِـــــــــــــــــــــــــــــي مَا أَنْتَ تُثْبِتُهُ،أَوْ أَنْتَ تَنْفِيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــهِ

تَفْسِيرُ ذَلِكَ:أَنَّ الأَصْلَ مُبْتَـــــــــــــــــــــــــدَأٌ تُلْفِي لَهُ خَبَرًا مِنْ بَعْدِ تَثْنِيـــــــــــــــــــــــــــــــــــهِ

1–القفطي انباه الرّواة: ج2،ص189.

2-الخوانساري:محمّد باقر الموسوي الأصبهاني:روضات الجنّات في أحوال العلماء والسّادات،تح أسد الله،اسماعيليان_ايران_د،ط،دت،ج5،ص90.

وَفَاعِلٌ مُسْنَدٌ،فِعْلٌ
تُقَدِّمُـــ
ـــــــــــــــهُ إِلَيْهِ يُكْسِبُهُ وَصْفًا
وَيُعْطِيـــهِ
هَذَانِ أَصْلاَنِ،لَا تَأْتِيكَ فَائِــــــــــــــــــــــــــدَةٌ
مِنْ مَنْطِقٍ لَمْ يَكُونَا مِنْ مَبَانــــــــــــــــــيهِ
وَ مَا يَزِيدُكَ مِنْ بَعْدِ التَّمَامِ،فَمَـــــــــــــــــــا سَلَّطْتَ
فِعْلًا عَلَيْهِ فِي تَعَدِّيــــــــــــــــــــــــــــــــــــهِ
هَذِي قَوَانِينُ،يُلْفِي مَنْ تَتَبَّعَهَـــــــــــــــــــــــا مَا يُشْبِهُ
البَحْرَ فَيْضًا مِنْ نَوَاحِيـــــــهِ
فَلَسْتَ تَأْتِي إِلَى بَابٍ لِتَعْلَمَــــــــــــــــهُ إِلاَّ انْصَرَفْتَ
بِعَجْزٍ عَنْ تَقَصِّيـــــــــــــــــــــهِ
هَذَا كَذَاكَ وَإِنْ كَانَ الذِّينَ تَـــــــــــــــــــــــــــــرَى
يَرَوْنَ أَنَّ المدَى دَانٍ
لِبَاغِيـــهِ
ثُمَّ الذِّي هُوَ قَصْدِي:أَنْ يُقَالَ لَهُمْ بِمَا يُجِيبُ الفَتَى خَصْمًا
يُمَارِيـــهِ
يَقُولُ:
مِنْ أَيْنَ أَنْ لاَ نَظْمَ يُشْبِهُـــــــــهُ؟ وَلَيْسَ مِنْ مَنْطِقٍ فِي ذَلِكَ
يَحْكِـــيــــــــــــهِ
وَقَدْ عَلِمْنَا بِأَنَّ النَّظْمَ لَيْسَ سِــــــــوَى حُكْمٍ مِنَ النَّحْوِ نَمْضِي
فِي تَوَخِّـــيـــهِ

لَوْ نَقَّبَ الأَرْضَ بَاغٍ غَيْرَ ذَاكَ لَهُ مَعْنًى وَصَعَّدَ يَعْلُو فِي
تَرَقِّيــ
ـــــــهِ

مَا عَادَ إِلَّا بِخُسْرٍ فِي
تَطَلُّبِـــهِ وَ
لاَ أَرَى غَيْرَ غَيٍّ فِي
تَبَغِّيــهِ

وَنَحْنُ مَا إِنْ بَثَثْنَا الفِكْرَ نَنْظُرُ فِـــي أَحْكَامِهِ وَنَرْوِي فِي
مَعَانِيــ
ــــــــــــــــــــهِ

كَانَتْ حَقَائِقُ يُلْفَى العِلْمُ مُشْتَرِكًا بِهَــــــــــــــــــا،وَكُلاًّ
تَرَاهُ نَافِذًا
فِيــ
ــــــــــــــــــــــــــــهِ

فَلَيْسَ مَعْرِفَةٌ مِنْ دُونِ
مَعْرِفَــةٍ
فِي كُلِّ مَا أَنْتَ مِنْ بَابٍ تُسَمِّيــــــــــــــــــهِ

تَرَى تَصَرُّفَهُمْ فِي الكُلِّ مُطَّـــــــــــــــــــــــــــــــــــرِدًا
يُجْرُونَهُ بِاقْتِدَارٍ فِي
مَجَارِيـــ
ـــــــــــــــــــــــــــــهِ

فَمَا الذِّي زَادَ فِي هَذَا الذِّي عَرَفُوا حَتَّى غَدَا العَجْزُ يَهِمُ بِسَيْلِ
وَادِيهِ

قُولُوا وَإِلَّا فَاصْغَوْا لِلْبَيَانِ تَـــــــــــرَوْا
كَالصُّبْحِ مُنْبَلِجًا فِي عَيْنِ رَائِيـــــــــهِ[1]

1- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز : تح : محمد رضوان الداية ، و فايز الداية ، دار قتبة ، ط1 1403ه ،1983م ، ص ث،خ .

هي جولة عشناها مع عبد القاهر الجرجاني رغم قلّة إنتاجه الشّعري إلاّ أنّنا نكتشف من جديد روحه المبدعة والجريئة التّي توضّح لنا أصالته فكان كاتبا مقتدرا يعرض الفكرة ثمّ يناقش الرّأي ويصل إلى هدفه بعبارات متينة.

1- شيوخه :

كان عبد القاهر الجرجاني مكبّا على القراءة رواية ودراية مهتّما بالدّراسات النّحوية والأدبيّة،وتفسير القرآن الكريم،فأخذ النّحو عن شيخه أبي الحسين محمّد الفارسي،ابن أخت الشّيخ أبي علي الفارسي،فغالبيّة التّراجم تُجمع على أنّه الشّخص الوحيد الذّي تلقّى عليه الجرجاني النّحووذلك بمدينته جرجان،وكان عبد القاهر الجرجاني أحد تلامذته الذّين تأثّروا به ودرسوا عليه كتاب"الإيضاح"لأبي علي الفارسي،فعني به وقام بشرحه شرحا كبيرا في ثلاثين مجلّدا سمّاه"المغني" ثمّ اختصر هذا الشّرح في ثلاثة مجلّدات وسمّاه"المقتصد".وتذكر بعض المصادر على أنّ عبد القاهر قرأ على القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني،وهذا خطأ فادح أقدم على ارتكابه ياقوت الحموي،فلا يصحّ ذلك،فعند مقارنتنا لميلاد عبد القاهر الجرجاني عام 392ه،فهذا الزّمن لا يسمح لنا بالقول:إنّ الجرجاني استمدّ مصادر ثقافته منه بل استفاد

من كتابات القاضي الجرجاني،والخطأ نفسه وقع فيه السّيوطي حيث قال:"إنّ عبد القاهر الجرجاني قرأ على القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني واغترف من علمه،وكان إذا ذكره في كتبه تبخخ – قال بخ بخ به،وشّمخ بأنفه بالانتماء إليه."[1]

1- السّيوطي:جلال الدّين عبد الرّحمن بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة،تح محمّد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة،دط،1384ه،1965م،ج1،ص94.

وقد شكّ معظم الباحثين في هذه التّلمذة،فقال الدّكتور أحمد بدوي:"وإنّي أشكّ فيما رواه ياقوت من أنّه قرأ على القاضي الجرجاني شيئا،لأنّ القاضي توفيّ سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة،فمتى يكون عبد القاهر قد أخذ عنه،وعبد القاهر قد توفيّ سنة إحدى وسبعين وأربعمائة،فإذا كان قد أخذ عن القاضي الجرجاني فلا بّد أن يكون عبد القاهر قد ولد قبل وفاته بنحو خمسة عشر عاما على الأقلّ حتّى يستطيع أن يأخذ عن عالم واسع العلم كالقاضي،ومعنى ذلك أنّ عبد القاهر ولد حوالي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فيكون عند وفاته قد أربى على تسعين عاما و لم يشر أحد من مؤرّخيه إلى أنّه طعن في السّنّ إلى مثل هذا الحدّ ممّا يرجح أن أخذ عبد القاهر عن القاضي كان أخذا عن كتبه لا شخصه"[1].

وذكر الخوانساري أنّ عبد القاهر درس النّحو على شيخين آخرين في قراءة النّحو وهما"ابن جنّي والصّاحب بن عبّاد الوزير[2].

وهذا غير صحيح ذلك أنّ الأوّل توفيّ عام 392ه والثّاني سنة385ه،فيصحّ القول عند قولنا إنّ عبد القاهر قام بدراسة كتبهما و لم يتتلمذ على يديهما.

1-أحمد بدوي،عبد القاهر الجرجانيوجهوده في البلاغة العربيّة،ص6،7.
2-الخوانساري:روضات الجنّات ص443.

وكان عبد القاهر يطلق ألفاظا ولا يذكر اسما معيّنا على شيخه أبي الحسين محمّد الفارسي، فيقول:"كان شيخنا رحمه الله" أو"أنشدنا شيخنا رحمة الله" أو"حكي شيخنا رحمة الله".

تلك هي جوانب علميّة وقفنا عندها أبرزت لنا أنّ عبد القاهر الجرجاني قد تلقّى النّحو على يد شيخه أبي الحسين محمّد الفارسي فدرس عنده كتاب الإيضاح و التكملة لأبي عليّ الفارسي،واستفاد من سابقيه فجعل نقطة انطلاقه للبحث العلمي بأن نقل عن الكثيرين ممنّ اشتهروا باللّغة والنحو والبلاغة والأدب كسيبويه،الجاحظ،المبرد،ابن دريد،العسكري،المرزباني،الفارسي،الآمدي والقاضي الجرجاني،حيث واصل مشواره الدّراسي بجرجان،فذاع صيته وشدّت إليه الرّحال وقصده الطّلاب

يطالعون كتبه ويأخذونها عنـــــــــــــــــــــــــــــــه، وسنتطرق في عرض موجز لأشهر تلاميذته.

5 * تلاميذه:

ظلّ عبد القاهر الجرجاني بجرجان و لم يغادرها فكان الطّلاب والوافدون إليه يقصدونه من بلاد بعيدة بغرض الأخذ منه شتّى العلوم التّي حصّلها من خلال دراساته،فوجد طلبته بأنّه عظيم وأحسّوا بالفخـــــــــــــــــــــر في الاستفادة منه.

وذكرت كتب التّراجم ممّن تتلمذ عليه جماعة من العلماء ومن أشهرهم:أبوزكرياء يحيى بن عليّ الخطيـــــــــــــــــــــــــب التّبريزي (ت502ه) [1]وعلي بن زيد الفصيحي (ت 516 ه) وهو من تلاميذه المتصدّرين ببـــــــــــــــــــــغداد. [2]

1- ينظر:ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،تح: محمّد محي الدّين ،د.ط،د.ت،ج2،ص233

2- ينظر: القفطي: انباه الرّواة: ج2 ص189.

و أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمّد الشجري. [1]

وأحمد بن عبد الله المهاباذي الضّرير صاحب شرح كتاب اللّمع لابن جنّي. [2].

6 * وفاته:.

توفّي عبد القاهر الجرجاني في جرجان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة للهجرة (ت471ه)،وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة (ت474ه). [3]

وبذلك طوى الزّمان صفحة من صفحاته المضيئة تقرؤها الأجيال على مرّ العصور بما تركه من آثار قيّمة ودراسات علميّة أبهرت جميع من عرفه،حيث كشف الغموض عن حقائق مغمورة في الظلام،ونفض الغبار عنها،وجعل العالم بعلمائه يطلّعون عليها،فرحمه الله عالمنا الجليل وأسكنه فسيح جنّاته.

ثانيا: الدّراسات القرآنية :

أسهم عبد القاهر الجرجاني في الاغتراف من الثّقافة الإسلاميّة حين مال إلى تأليفه في بعض الأعمـــــــــــــــــــــــــال العلميّة ذات المجالات الإسلاميّة وهي :

1ـــــــــ كتاب شرح الفاتحة:ويقع في مجلّد(4)،هذا ما أشار إليه الكتبي في كتابه"فوات الوفيات".

1-ينظر: المرجع نفسه:ص 190.

2-ينظر: السّيوطي: بغية الوعاة :ج1،ص320، وينظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء،ج1، ص217

3-ينظر:شذى جرّار، موازنة بين مذهبي الباقلاني والجرجاني في كتابيهما: إعجاز القرآن ودلائل الإعجاز ،أمانة عمّان،عمان ،الأردن ،ط1، 2005م، ص 81

4ـــــــــــالكتبي،فوات الوفيات،تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد،القاهرة،د،ط،1951م،ج1،ص378.

وهو من كتبه المفقودة التّي لا نعلم عنها شيئا،فيقول عنه الدّكتور أحمد مطلوب:"وقد يكون هذا الشّرح تطبيقا لنظريته في النّظم أو لمنهجه في التّفسير.[1]

1- درج الدّرر في تفسير الآي والسّور:ذكره صاحب هدية العارفين كاملا[2]،كما ذكره بروكلمان بـــــــــ(درج الدرر)[3].

2- المعتضد:وهو الشّرح الكبير لكتاب أبي عبد الله محمّد بن يزيد الواسطي في إعجاز القرآن،وقد سمّـــــــــــــــــــاه بعضهم"إعجاز القرآن".قال القفطي"و له إعجاز القرآن دلّ على معرفته بأصول البلاغات ومجـــاز الإيجاز"[4]وسّماه بعضهم "إعجاز القرآن الكريم"[5]أو"الشّرح الكبير"وذكر الرّملكاني له كتابا باســـم "الإعجاز"ونقل عنه في كتابه"البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن"غيرأنّ ما ذكره نراه في كتاب"دلائل الإعجاز"وبذلك لا نعدّ "الإعجاز"كتابا جديدا وإنّما هو الدّلائل الذّي تحدث عن الأساليب وصلتـــــــــــــــــــــــــــها بنظريّة النّظم[6].

1- أحمد مطلوب:عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده،وكالة المطبوعات،الكويت،ط1،1973م.
2- اسماعيل البغدادي:هديّةالعارفين:أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين،استانبول،د.ط،1951م،ج1،ص606.
3- بروكلمان-كارل-تاريخ الأدب العربي،ترجمةالدّكتور:رمضان عبد التّواب،ط2،د.ت،ج5،ص199،207
4- انباه الرّواة:ج2:ص189
5- السّبكي:طبقات الشّافعيّة:ج5،ص150.
6- ينظر:أحمد مطلوب:عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ص21.

3 * الشّرح الصّغير:وهو شرح مختصر لكتاب الواسطي،وهذان الشّرحان،أي المعتضد والشّرح الصّغير،من كتب عبد القاهر التّي لم تصل إلينا، كما لم يصل إلينا كتاب الواسطي نفسه،ويبدو من اهتمامه بالكتاب وشرحه مرّتين أنّه كان على جانب عظيم من الأهميّة.يقول الدّكتور:محمّد زغلول سلام"ولا يبعد أن يكون عبد القاهر قد تأثّر به في كتاباته وخاصّة في دلائل الإعجاز[1]وهذا فرض لا نستطيع نفيه أو إثباته،لأنّ كتاب الواسطي وشروح عبد القاهر عليه ضاعت ولا نعرف عنها شيئا.

4 *الرّسالة الشّافيّة:موضوعها(الإعجاز)وهي جمل من القول في بيان عجز العرب حين تحدوا إلى معارضة القرآن،وادعائهم وعلمهم أنّ الّذي سمعوه فائت للقوى البشريّة ومتجاوز للذّي يتسّع ذرع المخلوقين وفيما يتصّل بذلك ممّا له اختصاص بعلم أحوال الشّعراء والبلغاء ومراتبهم،وبعلم الأدب جملة[2]وقد عبّر عنها بـ(الرّسالة) في موضع منها[3]،و(الرّسالة الشّافية)مجموعة من الفصول أوّلها قوله:"بسم الله الرّحمن الرّحيم: قال الشّيخ عبد القاهر عبد الرّحمن رضي الله عنه:الحمد للّه ربّ العالمين حمد الشّاكرين وصلواته على النّبيّ محمّد وآله أجمعين [4]وآخرها فصل كتب فيه:"وهذا فصل أختم به ..... "يعقبه(فصل بدأ بالبسملة وانتهى بالدّعاء ثمّ فصل آخر بدأ بالبسملة وانتهى بقوله:"وبالله التّوفيق"وهو الفصل الّذي ذكرنا أنّه قطعة اجتزئت من(دلائل الإعجاز)وهذه الطّريقة في كتابة الفصول واستئناف القول فصلا فصلا يظهـ

ر

1—سلام محمّد زغلول:أثر القرآن في تطورّ النّقد العربي إلى أواخر القرن الرّابع الهجري،دار المعارف،القاهرة.د،ت.

2ـــ ـــــــ الجرجاني:الرّسالة الشافعية(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)،تح:محمّد خلق الله أحمد والدّكتور محمّد زغلول سلام ،دار المعارف القاهرة،د.ط،د،ت.

3ـــ المصدر نفسه:ص137.

4ـــ المصدر نفسه:ص117.

أنّها آخر ما ألّفه الجرجاني في أعماله وتأليفه وكلّها تتصّل بمسائل القرآن والبيان.تلك هي أهمّ مؤلّفاته التّي تناولها في الجانب القرآني،فهي مصّنفات وصفها الجرجاني استقلتّ بآرائه وطريقة بحثه.

ثالثا:الدّراسات البلاغيّة:لعلّ الظّاهر عند جمهور العلماء أنّ عبد القاهر الجرجاني رجل بلاغة،ومن ذلك اعتبروه صاحب بحث بلاغي محض،حين درسوا كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.

1-دلائل الإعجاز:يعتبر الكتاب الأوّل فيما يتعلّق بالإعجاز البلاغي للقرآن الكريم،إذ كشف علما وأخرجه بعد أن كان مكنوزا ومكنونا في القرآن الكريم،وجعله يبصر النّور بين آياته،ولم يسبقه إلى ذلك أحد. فيرجع الفضل في طبع كتابي"دلائل الإعجاز"و"أسرار البلاغة"إلى فضيلة الشّيخ الإمام محمّد عبده بالأزهر الشّريف حتّى يكونا مادّة الدّرس البلاغي.إذ طبع الكتاب لأول مرّة عام 1321ه،تحت إشراف السّيد محمّد رشيد رضا،والإمام محمّد

عبده.وقد تحدّث السّيد رضا عن ذلك قائلا:"إنّني لما هاجرت إلى مصـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــر لإنشاء مجلة المنار الإسلامي في سنة 1315ه وجدت الأستاذ الإمام الشّيخ محمّد عبده رئيس جمعيّة إحياء العلوم العربيّة ومفتي الدّيار المصريّة مشتغلا بتصحيح كتاب"دلائل الإعجاز"وقد استحضر نسخة من المدينة المنوّرة ومن بغداد ليقابلها على النّسخة التّي عنده.... وبعد أن أتمّ الأستاذ الإمام تدريس كتاب أســـــــــــــــــــــــــــــــــــــــرار البلاغة في الجامع الأزهر عهد إليّ بأن أطبع كتاب دلائل الإعجاز ليقرأ بعده فشرعت في الطّبع وشرع هـــــــــــــــــــو في التّدريس"[1] فعدّت هذه الطّبعة أساس الطّبعات الأخرى،ثمّ طبعه أحمد مصطفى المراغي في طبعتيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــن الأولى عام 1369ه-1950م،والثانيّة من دون إظهار التّاريخ.

1–عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز:ص(ط،ر،ضا)و(ز، ح)

وطبع في المغرب العربي بتحقيق الأستـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــاذ محمّد بن تاويت في جزئين،وصدره بمقدّمة طويلة تحدّث فيها عن تأريخ البلاغة من الجاحظ إلى ابن يعقوب المغربي صاحب"مواهب الفتاح" ثمّ طبعة أخيرا الدّكتور محمّد عبد المنعم خفاجي1389ه،1969م.حيث عالج عبد القاهر فكرة النّظم على نحو مفصّل في كتابه"دلائل الإعجاز"ويرى الأستاذ شاكر أنّ عبد القاهـــــــــــــــــــــر قصد في"دلائل الإعجاز"أن يردَّ قولين للقاضي عبد الجبّار،رأس المعتزلة في عصره،وقد ردّد الجرجاني القوليـــــــــــــــــــــــن في أكثر من موضع في دلائل الإعجاز،وهما:"إنّ المعاني لا تتزايد،وإنّما تتزايد الألفاظ[1]و:"إنّ

الفصاحـــــــــــــــــــــــــــــــــــــة لا تظهر في أفراد الكلمات،ولكن تظهر بالضّم على طريقة مخصوصة.[2] .

ويأنس المتأملّ بِسَدَاد هذا الرأي حين يُجِيلُ عين البصيرة في قول عبد القاهر في خاتمة كتاب(دلائـــل الإعجاز):"قد بلغنا في مداواة النّاس من دائهم،وعلاج الفساد الذي عرض في آرائهم كلّ مبلغ،وانتهينا إلى كلّ غاية،وأخذنا بهم عن المجاهل التّي كانوا يتعسّفون فيها إلى السّنن اللاحق،ونقلناهم عن الآجن المطروق إلى النّمير الذّي يشفي غليل الشّرب،و لم ندع لباطلهم عرقا ينبض إلاّ كويناه،ولا للخلاف لسانا ينطق إلاّ حسرناه،و لم نترك غطاء كان على بصر ذي عقل إلاّ حسرناه."[3]

2*أسرار البلاغة:يعتبر هذا الكتاب أساس علم البلاغة،إذ وضع فيه عبد القاهر الأصناف المعروفـــة للتّراكيب اللّغوية البلاغيّة(كالاستعارة،التّشبيه،المجاز وغيرها).

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص395،63.

2- المصدر نفسه: ص 394، 466، 467.

3-المصدر نفسه: ص477.

وهذا الكتاب صنوا الدّلائل الّذي رأينا اهتمام الإمام محمّد عبده به.وقد طبع أوّل مرّة في مصر سنـــة 1320ه وكتب له ناشره السّيد رشيد رضا مقدّمة تحدّث فيها عن اهتمام الإمام به,وعن عمله في الطّبع وقال متحدّثا عن نسخ الكتاب :"ولمّا هاجرت إلى مصر في سنة 1315ه لإنشاء المنار الإسلامي ألفيت إمام النّهضة الإسلاميّة الحديثة

الأستاذ الحكيم الشّيخ محمّد عبده رئيس جمعيّة العلوم العربّية ومفتي الدّيـــــــــــــــــار المصريّة اليوم مشتغلا في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني وقـــد استحضر نسخة من المدينة المنّورة ومن بغداد ليقابلها على النسخّة التّي عنده فسألته عن كتاب أســـرار البلاغة للإمام المذكور فقال:إنّه لا يوجد في هذه الدّيار.فأخبرته بأن في أحد بيوت العلم في طرابلس الشّام نسخة منه فحثني على استحضارها وطبعها فطلبتها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد القادر أفنـــــــــــــــــــــــــــدي المغربي وهي ممّا تركه والده فلبّي طلب وعلمنا أنّ نسخة أخرى من الكتاب في إحدى دور الكتب السّلطانيّة في دار السلطنة السّنية فندبها بعض طلاب العلم الأذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النّسخة فخرج لنا من مجموعها نسخة صحيحة شرعنا في طبعها"ثمّ قال":لهذا بادر الإمام مفتي الدّيار المصريّة في هـــذه الأعوام إلى تدريس الكتاب في الأزهر الشّريف عقب شروعنا فيطبعه فأقبل على حضور درسه مع أذكياء الطّلاب كثيرون من العلماء والمدرسين والأساتذة المدارس الأميرية وقد قال أحد فضلاء هؤلاء الأساتـــذة بعد حضور الدّرس الأوّل"إنّنا قد اكتشفنا في هذه اللّيلة معنى البيان".[1]

1-عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة:تح السّيد محمّد رشيد رضا،ط 6،القاهرة،1379ه،1959م،ص(ط)وما بعدها.

و بذلك عمل الإمام محمّد عبده والسّيد محمد رشيد رضا على الاهتمام ببلاغة عبد القاهر بطبع كتابيه وتدريسهما في الأزهر الشّريف.

وطبع الكتاب الأستاذ أحمد مصطفى المراغي في مصر سنة1367ه،1948م،وقدّم له بتعريف لعبد القاهر،وطبعه أيضا ه.ريترفي مطبعة وزارة المعارف باسطنبول سنة1954م،وكتب له مقدّمة باللّغة الإنجليزيّة.إذ يؤكّد عبد القاهر أنّ المعاني هي المرداة من الكلام،وأنّا لفصاحة و البلاغة و البيان والبراعة ليست إلاّ أوصافا للكلام حين يكون حسن الدّلالة تامّها،وعندما تكون هذه الدّلالة متبرّجة فيصوره أبهى وأزين وأنقى وأعجب. وقد أوضح بجلاء أن كلّما أتى به في(أسرار البلاغة)ليس القصد منه سوى بيان أمر المعاني:"واعلم أنّ غرضي في هذا الكلام الذّي ابتدأته،و الأساس الذّي وضعته،أن أتوصّل إلى بيان أمر المعاني:كيف تختلف وتتفق،ومن أين تجتمع وتفترق،وأفصّل أجناسها وأنواعها،وأتتّبع خاصّها ومُشَاعَها،وأبيّن أحوالها في كرمِ منصبها من العقل،وتمكّنها في نصابه،وقرب رحمها منه،أو بعدها،حين تُنْسَبُ – عنه"[1]

ويرى عبد القاهر أنّ المعاني ليست على حال واحدة من جهة حاجتها إلى التّصوير؛فبعضها شريف في ذاته،وحاجته إلى التّصوير ضئيلة:في حين أنّ بعضها الأخر غاية في حاجته إلى التّصوير،فإذا ما نزعت عنه صورته بدا في نهاية القبح.

1–عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة : قرأه و علّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ط1 دار المدني القاهرة وجدة 1412ه/1991م

يقول الشّيخ الإمام"وإنّ من الكلام(يريد المعاني)ما هو كما هو شريفٌ في جوهره،كالذّهب الإبريز التـــــــــــــــــــــــــــّي تختلف عليه الصّور وتتعاقب عليه الصّناعات،وجُلُّ المعوّل فيشرفه على ذاته،وإن كان التّصوير قد يزيد في قيمته ويرفع من قدره،ومنهما هو كالمصنوعات العجيبة من موّاد غير شريفة،فلها مادامت الصّورة محفوظـــــــــــــــــــــــــة عليها لم تُنتقص وأثر الصّنعة باقيا معها لم –يبطلْ–قيمة تغلو،ومترلة تعلو،وللرّغبات إليها الحادثات أربابها،و فجئتهم فيها بما يَسْلُبُها حُسْتَهَا المكتسبَب الصّنعة،وجمالها المستقاد منطريق العرض،فلم يبق إلاّ المــــــــــــــــــــــادّة العاريّة من التّصوير والطّينةُ الخالية من التّشكيل–سقطت قيمتُها،وانحطت رتبتها،من التّصوير والطّينة الخالية من التّشكيل–سقطت قيمتها،وانحطت رتبتها،وعادت الرّغبات التّي كانت فيها زهدا"ويلحّ عبد القاهـــــــــــــــــــــــــر كثيرا على حاجة المعاني إلى التّصوير،الذّي يرى فيه مصدر الجلّ محاسن الكلام،ومن هذه الوجهة رأى الإمام أنّه لابّد من استيفاء النّظر واستقصائه في أنواع التّصوير الرّئيسية من تشبيه واستعارة وتمثيل.ويقول عبـــد القاهر في شأن افتقار المعاني إلى التّصوير:"وهذا غرض لا ينال على وجهه،وطلبة لا تُدرك كما ينبغـــــــــــــــــــــــــــــي إلاّ بعد مقدّمات تقدّم،وأصول تمهّد،وأشياء هي كالأدوات فيه حقّها أن تجمع،وضروب من القول هـــي كالمسافات دونه،يجب أن يُسار فيها وتقطع،وأوّل ذلك وأولاه،وأحقُّه بأن يستوفيه النظر ويتقصاه القول على(التّشبيه)و(التّمثيل)و(الاستعارة):فإنّ هذه أصول كبيرة، كأن جُلُّ محاسن الكلام إن لم ينقل كلّها– متفرّعة عنها،وراجعة

إليها،وكأنّها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها،و أقطار تحيط بها من جهاتها."[1]

1المصدر السابق :ص26، 27.

3- المدخل في دلائل الإعجاز:وهو مقدمة كتاب دلائل الإعجاز.وقد أفردها المؤلّف ومنه نسخة كتبت سنة 568ه نقلا عن نسخة.بخط عبد القاهر،وفي معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربيّة نسخة مصوّرة برقم(54بلاغة) في ثلاث ورقات حجم متوسط[1].

4- آراء الجرجاني: ومنها نسخة كتبت سنة568ه نقلا عن نسخة بخط المؤلف،وفي معهد المخطوطات نسخة مصورّة منها برقم (1بلاغة) في خمس ورقات حجم متوسط.لا يعرف ما فيها،لأنّ النّسخة المحفوظة في معهد المخطوطات أصابها التّلف و لم تعد صالحة للقراءة،ويصعب الحصول عليها من مكتبة حسين جلبي في تركية.[2] و بعد الغوص والبحث في الدّراسات البلاغيّة لدى عبد القاهر الجرجاني نصل إلى خلاصة وهي أنّ عبد القاهر يُعدّ بما أتى به في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز بلاغيّا قليل النّظير في تاريخ البلاغة العربيّة،وناقدا أدبيّا خطيرا،وإذا كانت فكر عبد القاهر في هذين الكتابين ممّا تشتد حاجة طالب العلم إليه، فإنّ فكرتين رئيسيتين من فكره لاغنى لدارس النّقد العربي القديم عن تمثّلهما والبناء عليهما،وتلكما الفكرتان هما:

1- ينظر:أحمدمطلوب:عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ص 40.

2-ينظر المرجع نفسه :ص 4

التّصوير الفنّي،والنّظم،وقد بني على أولاهما كتابه(أسرار البلاغة)في حين جعل الثّانية مجال القول في(دلائل الإعجاز).

رابعا:الدّراسات النّحوية:يعدّ بعض الدّارسين عبد القاهر الجرجاني إماما في النّحو وقد بلغ ببعضهم أن سمّاه"إمام النّحاة":فله مصّنفات عديدة في مجال النّحو ويمكن تصنيفها في قسمين:

قسم الشّروح والتّلخيص والاختيار لأعمال سابقة.

وقسم خاص بأفكاره وآرائه استقلت في مؤلّفاته اختارلها طريقة بحثه وأساليبه الخاصّة به.

1- الإيجاز:هو اختصار إيضاح أبي عليّ الفارسي،و و صفه صاحب(كشف الظّنون)الحاجي خليفة بقولـــــــــــــــــــــــــه: إنّ أوّله:"الحمد لله التّي تظاهرت علينا آلاؤه"[1] وذكره البغدادي في هدية العارفين.[2]

2- المغني:يقع في ثلاثين مجلّد،وهو شرح مبسوط لكتاب(الإيضاح)لأبي علي الفارسيّ،ولا نعرف عنه شيئا غير ما أشار إليه القدماء[3].يتحدّث عنه السّيوطي ويذكر فيه بأنّه شرح مستفيض لكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي،وينقل قول عبد القاهر"عرضتم عليّ-أيّدكم الله-في كتاب الإيضاح وتحققه وتحصيل معانيه ونكته، وذكرتم أنّما عملت فيه من الكتاب الموسوم بـــــــــــ(المغني)لا يطول باع كل أحد لبلوغ رتبته و تسنم ذروته،لاشتماله على مسائل جمّة وفصول ممتدّة(4).

1-الحاجي خليفة:كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون،ط3،طهران،1387ه،1967م.ج1،ص211.
2-إسماعيل البغدادي:هديّة العارفين:ج1،ص606 .
3-ابن الأنباري أبو البركات:نزهة الألّباء في طبقات الأدباء:ص249.
4-السّيوطي:بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة:ج2،ص106.

3-المقتصد:هو ملخص كتابه "المغني في شرح الإيضاح"يقع في ثلاثة مجلّدات،فهو من أبرز وأوسع كتب الجرجاني النّحويّة،التّي وصلت إلينا،وهو شرح لكتاب الإيضاح،حققّه الدّكتور كاظم بحر المرجان وطبعه في مجلد يتضمن 1279صفحة من ضمنها الإحالات والفهارس ومقدّمة التّحقيق،جاء هذا الكتاب بسيطا لكتاب المغني،وفي مقدّمته يقول:"فرأيتم الرّأي أن أملي عليكم كتابا متوسّطا يفضي بتأمّله إلى أغراض هذا الكتاب–يقصد الإيضاح لأبي عليّ الفارسي-...فأنا أذكر بحول الله ما يكشف عنه ظلمة الأشكال،ويفيض عليه نور البيان،ولا أتعدّى المقدار الذّي يشمل على مقاصده.[1]

4- التّكملة:ذكره القفطي عندما تحدّث عن(المقتصد)وقال:المقتصد في شرح الإيضاح وهو مقتصد من مثله على ما سمّاه لم يأت في الإيضاح بشيء له مقداره،وكما تبرع في(التّكملة) لم يقصر بنسبته إلى ما عهد منه فلو شاء لأطال[2]،وربّما هو(التّتمّة)الذّي ذكره الزّركلي[3]ومنه نسخة محفوظة في المتحف البريطاني برقم 472.[4]

1-كاظم بحر المرجان، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح،منشورات وزارة الثقافة والإعلام،العراق،دارالرّشيد للنشر،1982م، ج2، ص17.
2-القفطي:انباه الرّواة :ج2،ص188
3- الزركلي:الأعلام:ط2،القاهرة،د،ت، ج4،ص.174
4-أحمد مطلوب:عبدالقاهرالجرجاني،بلاغته ونقده:ص42

ومضمون هذا الكتاب نجد فيه شرح ما غمض في كتاب الإيضاح لأبي عليّ الفارسي،وسمّاه الدّكتور أحمد بدوي بـــــــــــــ(التّكملة) و قال عنه : " و ربما أراد بهذا الكتاب أن يضيف مسائل لم يذكرها صاحب الإيضاح، و لعله أوردها مختصرة ، لأن (أنباه الرواة) تقول عن التكملة : أن عبد القاهر(لو شاء لأطال) [1] و هو مجرد استنتاج و لو اطلع عليه لكان قد غير رأيه فيه .

5- العوامل المائة: يعد أول كتاب ارتبط به اسم الجرجاني ، وهو من الكتب التي شملها تاريخ النحو العربي و التي ذاع صيته بها ، حتى سماه بعض العلماء عوامل الجرجاني ، وهو من كتبه المختصرة المتداولة ، حيث استهله مؤلفه بمقدمة وجيزة ، قسم فيها العوامل إلى لفظية و معنوية صنف الأولى إلى قسمين : القسم الأول عوامل سماعية و تنحصر في ثلاثة عشر نوعا ، وعدد عواملها واحد و تسعون عاملا ، و القسم الثاني حصره في سبعة عوامـــل

وهي : العوامل القياسيّة ثم العوامل المعنويّة و عددها عاملان و ثلاثون منها تسمّى معمولا و عشرة منها تسمى عملا و إعرابا ،فأبين لك بإذن الله تعالى هذه الثلاثة على طريقة الإيجاز في ثلاثة أبواب :

الباب الأول: في العامل

الباب الثاني : في المعمول

الباب الثالث: في الإعراب.[2]

طبع الكتاب عدة مرات ، و أشهر طبعاته المذكورة في"مجمع مهمات المتون"وله مخطوطات[1]كثيرة في دار الكتب المصريّة ودار الكتب بالزقازيق في مصر وفي مكتبات العراق وإيران(3)والمتحف البريطاني وغيرها.

ولكتاب العوامل المائة عدّة شروح منها شرح حاجي بابا الطّوسي وحسام الدّين وحسين التوقاني والمولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده وأحمد بن محمّد زين مصطفى سمّاه "تسهيل نيل الأماني في شرح عوامل الجرجاني أو تسريح العوامل في شرح العوامل"وهو مطبوع في القاهرة وله شرح مطبوع في كتاب"جامع المتقدّمات"بخطّ طاهر خوشنويس في طهران،وشرحه أيضا ابن الخشّاب النّحوي البغدادي والقطب الراوندي والمولى محسن المعروف والفاضل الهندي.وعلق عليه السّيد الشّريف الجرجاني،والشّيخ إبراهيم بن أحمد الجزري تعليقه عليه سمّاها"الإعراب فيضبط عوامل الإعراب" ونظمه بالتّركية محمد بن أحمد المعروف بصوفي زادة الأدرنوي،وترجمه إلى التّركيّة كمال الدّين المدرس.[1]

6- الجمل:

1- أحمد بدوي:عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربيّة:ص،ـــ31 ،32.

2 ـــــــــ عبد القاهر الجرجاني:العوامل المائة،تحقيق أحمد بن علي استانبولي:مراح وعزى،تركية،استانبول،مكتبةايشيق 1399ه،1979م:ص90،81.

ـــ3 ـــــــــ ينظر:أحمد مطلوب:عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده:ص43.

يحمل هذا الكتاب عنوانا آخر وهو"الجرجانيّة"[2]،وهو كتاب تعليميّ،قال عنه القفطي:"وله شرح كتاب العوامل سمّاه الجمل ثم صنّف شرحه فجرى على عادته في الإيجاز"[3]،وهو في خمسة فصول:

- الأوّل في المقدّمات.
- الثّاني في عوامل الأفعال.
- الثّالث في عوامل الحروف.
- الرّابع في عوامل الأسماء.
- والخامس في أشياء منفردة

1-ينظر:حاجي خليفة:كشف الظّنون،ج2، ص1179،والخوانساري:روضات الجنّات:ص444ـ

2 ـــــــــ عبد القاهر الجرجاني:الجمل:تح علي حيدر،دمشق،د.ط،1392ه،1972م،ص41.

3ـــــــــ القفطي:انباه الرّواة:ج2،ص188..

طبع عدّة مرّات في ليدن سنة1617م وكلكته سنة 1803م وبولاق1247ه،وغيرها،وله مخطوطات كثيرة في المكتبات العامّة والخاصّة.[1]ولكتاب الجمل عدّة شروح ذكرها الحاج خليفة في كتابه"كشف الظّنون"[2]

منها:شرح أبي محمّد عبد الله بن أحمد بن الخشّاب البغدادي(567ه)سمّاه"المرتجل"وترك أبوابا من وسط الكتاب لم يتكلّم فيها.[3]

وشرح أبي محمّد عبد الله بن محمّد المعروف بابن السّيد البطليوسي(521ه).

وشرح أبي عبد الله محمّد بن جعفر الأنصاري البلنسي(586ه).

وشرح أبي الحسن عليّ بن محمّد المعروف بابن خروف الحضرمي النّحوي(609)ه.

وشرح أحمد بن عبد المؤمن الشّريشي(616)ه.

وشرح محمّد بن علي الغرناطي(715)ه،وغيرها.

7- التّلخيص:

هو شرح لكتاب الجمل وسمّاه الجرجاني بالتّلخيص،ذكره القفطي في كتابه أنباه الرّواة،[4]

1- أحمد مطلوب:عبد القاهر الجرجاني:بلاغته ونقده:ص 44.

2 ـــــــ الحاج خليفة:كشف الظّنون:ج1،ص:602،603.

3 ـــــــ البعلي:الفاخر في شرح جمل عبد القاهر(مخطوط)،دار الكتب المصريّة،د.ط،د،ت،ج1،ص1.

4 ـــــــ القفطي:انباه الرّواة:ج2 ،ص188.

وقال عنه الشّيخ البعلي صاحب(الفاخر في شرح جمل عبد القاهر)"أمّا بعد فإنّ كتاب(الجمل)في النّحو لعبد القاهر الجرجاني قد كثر اعتناء المبتدئين في الاشتغال في النَّحْوِ بِهِ و قد تكرّر سؤال غير واحد من المشتغلين،لي أن أعلّق له شرحا يكون أكثر وضوحا وبسطا من شرحي مصنّفه والإمام أبي محمّد بن الخشّاب،فقدّر الله الكريم أنّني شرعت في هذا الشّرح مستعينا بالله على إجادته وإتمامه."[1]

و هو موجود و مخطوط في دار الكتب المصريّة تحت(227 نحو).

خامسا :الدراسات الصرفية :

لم يغفل عبد القاهر الجرجاني عن علم الصّرف فأعطاه حقّه من التّأليف وكتب فيه كتابا سمّاه"العمدة في التّصريف"وهو يحتوي أمورا علميّة تعلّقت بخاصيّة الصّرف.

1* العمدة في التّصريف:

يتناول مضمون هذا الكتاب تصريف الأفعال الثّلاثية والمعتّل الفاء والمعتّل العين والمعتّل اللّام والمعتّل العين واللاّم غير المضاعف،والمعتلّ العين واللاّم والمضاعف والأفعال التّي فيها زيادة من الثّلاثي، وختمه بفصل مسألة من الأصول التي يجب حفظها. وهو كتاب مختصر لا يزال مخطوطا،"ومنه نسخة في مكتبة لا له لي في استانبول ضمن مجموعة تحت رقم (3740)،وفي معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربيّة نسخة مصوّرة منه برقم(15صرف)"[2].

سادسا: الدّراسات العروضيّة:

سار عبد القاهر الجرجاني على منهج أهل النّظم،أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي في علم العروض،فصنّف كتابا في العروض:

1–البعلي:الفاخر في شرح جمل عبد القاهر:جمل عبد القاهر:ج1،ص1.

2 ـــــ أحمد مطلوب:عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده:ص45.

1* كتاب في العروض:وهو قصيدة تتضمّن قواعد الأوزان الشّعريّة.

وقد"طبعت في ذيل كتاب"الإقناع في العروض وتخريج القوافي"للصّاحب بن عبّاد سنة 1379ه،1960مفيبغداد بتحقيق الشّيخ محمّد آل ياسين."[1]

وحاول عبد القاهر في أبياتها أني ضبط الأوزان،فهو يقول في البحر الطّويل:

أَتَاكَ الطَّوِيلُ الفَضُّ يَخْتَالُ فِي الـــــعُلَـــــــــــــــــى وَ يَبْقَى بَقَاءَ الدَّهْرِ إِنْ مَاتَ قَائِـــلُ

قُرَيْضٌ كَحَدِّ السَّيْفِ صَعْبٌ عَرُوضُهُ   فَعُولُن مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ

مَفَاعِــلُ

وضبط البحور الأخرى بهذه الطّريقة.

سابعا :الدّراسات الأدبيّة:

من الملاحظ في منهج عبد القاهر الثّقافي عامّة والأدبّي خاصّة،أنّه كان ذا ذوق أدبّي عالٍ،عُرِفَ بميله الذّوقي في انتقاء الشّعر الرّفيع في بلاغته وفصاحته وبديعياته واستعاراته وقد اقتبسها شواهِد في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز،ووقف على نقدها ودراستها وتحليلها،وعلى هذا النّمط سار على تأليفه كتابًا سمّاه:

1*المختار من دوارين المتنبّي والبحتري وأبي تمّام:يشمل هذا الكتاب الأدبيّ،أجناس الشّعر كما يقول عنه عبد القاهر، وقام بطبعه الشّيخ الميمني في مجموعة "الطّرائف الأدبيّة"كما تنصّ بعد التّراجم أن البديعي ذكر له "كتابا في شرح المتنبي".[2]

1–المرجع السّابق:ص45.

2 ـــــــ البديعي:الصبح المنبّي عن حيثية المتنبّي:تح:مصطفى السّقا ومحمّد شتا وعبده زيادة عبده،دار المعارف،د،ط،القاهرة،1963م،ص268.

و بداية هذا الكتاب قول عبد القاهر فيه:"هذا اختيار من دواوين المتنبّي والبحتري وأبي تمّام عمدنا فيه لأشرف أجناس الشّعر وأحقّها بأن يحفظ ويروى ويوكل به الهمم ويفرع له البال وتصرف إليه العناية وتعدم فيه الدّراية وتعمر به الصّدور ويستودع القلوب ويعدّ للمذاكرة ويحصل للمحاضرة،وذلك ما كان

مثلا سائرا ومعنى نادرا وحكمة وأدبًا وقولًا فصلاً و منطقًا جزلا.وقد أخرجنا من ذلك من هذه الدّواوين خيار الخيار وما هو كوسائط العقود وأناسي العيون وكسبيكة الذّهب والطّراز المذهب وبدأنا بشرح المتنّبي لأنّ أمثاله ومعانيه فيها أغزر ومعارفه في الحكم والآداب أكثر"[1].

ولعلّ اهتمام عبد القاهر الجرجاني بشعر المتنبّي يجعلنا نطمئن أنّه يَسْلُكُ مَسْلَكَ السّابقين من العلماء اللّغويين الذّين اهتموا بدراسة شعر المتنبّي ومنهم ابن جنّي الذّي شرح ديوان المتنبّي.

ثامنا:دراسات متنّوعة:

إنّ المتأمّل في مصنّفات عبد القاهر الجرجاني،يجد كلّ مصنّف ينتمي إلى فنّ مـــا مصنّفات قرآنية،بلاغيّة،نحويّة،صرفيّة،عروضيّة،وأدبيّة،لكن ما تذكره بعض التّراجــــــــــــــــــم أنّه ترك ثلاث مصنّفات لم يعرف موضوعها إلى حدّ الآن وهي كالتّالي:

1* التّذكرة :

وهي جملة مسائل منثورة ذكرها القفطي إنها كــــــــــ(التّذكرة).[2]ولكنّ الدّكتور أحمد بدوي سمّاها(التّذكرة). وقال عنها:"ربّما كانت هذه(التّذكرة)رؤوس موضوعات وعناصر لهذه الموضوعات حتّى لا تغيب عنــه

1–عبد العزيزالميمني:المختار من دواوين المتنبيّ والبحتري وأبي تمّام،مطبوع في كتاب الطّرائف الأدبيّة،د،ط،القاهرة1937م،ص 200.

2 ــــــ القفطي:انباه الرّواة: ج2،ص189 .

الموضوعات وعناصرها عندما يريد أن يكتب كتابا فصوله هذه الموضوعات.[1]

2* المفتاح:

ذكره بعض أصحاب التّراجم،[2] ولم يشر إلى موضوعه،وعثر عليه د.عليّ توفيق وحقّقه وقدم له.[3]

3*المسائل الُمشْكَلَةُ:

ذكرها عبد القادر البغدادي[4] وأشار إليها بروكلمان.[5]

1 ـــــــ أحمد بدوي:عبد القاهر الجرجاني،ص68.

2 ـــــــ السّبكي:طبقات الشّافعيّة،ج3،242 .

3 ـــــــ عبد القاهر الجرجاني،المفتاح في الصّرف:تحو تقديم:د.علي توفيق أحمد،د.ط،بيروت،مؤسسة الرّسالة1987م،ص1.

4ـــــــ عبد القادر بن عمر البغدادي:خزانة الأدب ولبّ لسان العرب على شواهد شرح الكافيّة بمصر مطبعة،بولاق،ط1،ج1،ص134.

5 ـــــــ بروكلمان :تاريخ الأدب العربي،ج5،ص206.

أوّلا:النّحو عند سابقيه:

لقد كان العرب قبل الإسلام ينطقون العربيّة سليقة، واشتهروا بالفصاحة والبلاغة لما اصْطَفَوْهُ من أسواقهم الأدبيّة من الشّعر و النّثر حتّى أصبحت تلك اللّغة المصطفاة لغة رسميّة.[1].

أمّا بعد نزول القرآن الكريم فقد دعت حاجة العرب إلى الرّجوع إلى آثارهم الأدبيّة، ومنها الشّعر خاصّة حتّى يُمكّنهم فهم ألفاظه ونصوصه ومعانيه التّي تتضمّن أحكام الدّين الجديد.ولمّا كان دينا عالميّا أنزل لكافة النّاس، اِنطلق أتباعه في الآفاق يفتحون القلوب،ويشرحون الصّدور لاعتناق عقيدته ومبادئه،فكان العرب بحكم رسالتهم مكلّفين بالانفتاح والاختلاط بغيرهم قياما بذلك الواجب العسير.[2] على الرّغم بما كان لهذه الفتوحات من آثار متفاوتة على العربيّة بعضها إيجابي وبعضها سلبي.يتجلّى الإيجابي في سعتها لكثرة النّاطقين بها،وإقبال الأعاجم الرّهيب على تعلّمها لرفع شأنهم عند أولي الأمر،وبالتّالي استخدامها في كلامهم اختياريا،لأنّ مبدأ الحريّة مستوحى من الدّين الإسلامي الذّي لم يكن يجبر شعبا ذا دين سماوي لاعتناقه.ويتجلّى السّلبي في انتشار لهجات تلك الشّعوب المفتوحة واختلاطها بالعربيّة،والنّتيجة فقد السّيطرة والتّحكّم في نطق الأشخاص.[3]

2-ينظر:صالح بلعيد الإحاطة في النّحو،ديوان المطبوعات الجامعيّة،الجزائر،د ـ،ط ـ 1994م،ص 9.

2-ينظر:عبد العزيز ابليلة،الاحتجاج النّحوي بالقرآن الكريم في"الكتاب"،إشراف الدّكتور عبد الجليل مرتاض،رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في أصول النّحو العربيّ، معهد اللّغة العربيّة وآدابها،جامعة تلمسان،أبو بكر بلقايد 1419 ه،1998م ص37

3ـــــــ ينظر:عبد الجليل مرتاض:العربيّة بين الطّبع والتّطبيع:ديوان المطبوعات الجامعيّة،بن عكنون، الجزائر،دـــ،طـــ 1993م، ص 162

وهو دليل ضعف وتقهقر تسبّب في شيوع اللّحن.فكان ظهوره الدّافع الأوّل لتدوين اللّغة وجمعها واستنباط قواعـــــــــــــــــد النّحو،فقد كانت حوادثه نذير الخطر الذّي هبّ على العربيّة والإسلام،فمن الباحثين من ذهب إلى وقوعه فـــي الجاهليّة،خاصّة في لغات القبائل التّي تطرّقت الجزيرة العربيّة،ومنهم من رأى أنّ فساد الألسنة قد ظهرت بوادره منـــــــــــــذ عهد الرّسالة كأبي الطّيب اللّغوي (351ه)،وابن جنّي(392ه)"1"؛لأنّ الإسلام أظّل بظلّه أمما أعجميّة،وكان مـــــــــــــــن نتائج الدّمج البشري أن فقد العرب شيئا من السّليقة اللّغوية الفطريّة.ومن مظاهره أنّ رجلا لحن بحضرة الرّســـــــــــــــــــــــــــول صلّى الله عليه وسلّم،فقال الرّسول الكريم:"أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ إِنَّهُ قَدْ ضَلَّ"[2]،وانطلاقا من هذا الحديث،نستنتـــــــــــــــــــــــــــج أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم اعتبر اللّحن ضلالة،والظّاهر أنّه كان معروفا بهذا المصطلح نفسه"اللّحن"بدليل مَارُوِيَ عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال:" أَنَا مِنْ قُرَيْشٍ وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ،فَأَنَّى لِي اللَّحْنُ؟".[3]فهو يريد أن ينفي عن لسانه المبين ولغته الفطريّة عيوبا تلحق اللّسان العربيّ،فتُنقص من فصاحته وبيانه.

1ـــــــــ ينظر السّيوطي:المزهر في علوم اللّغة:شرح وضبط محمّد جاد المولى بك،محمد أبو الفضل إبراهيم،علي محمّد البجاوي،بيروت،د،ط،1406ه،1986م،ج 2،ص397،وينظر:أحمد أمين: ضحى الإسلام،دار الكتاب العربيّة،بيروت،ط10،دت،ج1:ص249 ، 296 .وينظر عبد الجليل مرتاض:في رحاب اللّغة العربيّةـــديوان المطبوعات الجامعيّة،بن عكنون،الجزائر،ط2،2007م،ص3 ـــ

2ـــ ـــــــــــ ابن الجنّي:الخصائص:تحقيق محمّد علي النّجار،دار الهدى،بيروت،ط2،د.ت،ج2،ص8،وينظر:عبد الجليل مرتاض:الفسيح في ميلاد اللّسانيات العربيّة،دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع،الجزائر،ط2،2009 م،ص 68

3ــــــــــــ المناوي:فيض القدير:شرح الجامع الصّغير،ط 1، 1356 ه، 1938م،ج3،ص 38ـــ

لقد كره القدماء اللّحن حتّى تعايروا به،فقالوا عن مرتكبيه"لَيْسَ لِلاَّحِنِ حُرْمَة". (1)

فهم يتغاضون عن الهَفوات اللّغوية عند قراءة الأدب،لكنّهم لا يغفرون زلّة من يخطئ في قراءة كلام الله،لذلك أمــــــــــر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في عهد خلافته"أَلاَّ يُقْرِئَ القُرْآنَ إلاَّ عَالِمٌ باللُّغَةِ". (2)ولعمر تُنْسَبُ المقولة المأثـــــــــــــــــــورة: "تَعَلَّمُوا العَربيَّة،فَــــــإِنَّــــــهَا تُثَبِّتُ العَقْلَ وَتَزِيـــــــــدُ فِي الـــــــمُـــــــــرُوءَةِ"(3).إذ للكتب المقدّسة حرمتها،وعندما نقول:"إِنَّ العَرَبيَّــــــــــــــــــــــــــــــــــــــةَ مَدِينَةٌ لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ بِحفْظِهَا وَبِبَقَائِهَا فَإِنَّ قَوْلَنَا هَذَا صَحِيحٌ بِشَهَادَةِ التَّارِيخِ". (4)

1ـــــــــ سعيد الأفغاني:في أصول النحو:دار الفكر،د،ط، 1964م،ص 14 ـ

2ـ ابن عساكر:تهذيب تاريخ دمشق الكبير،هذّبه ورتّبه،عبد القادر بدران،بيروت ،د،ط،د.ت، ج 7،ص 113ـ

3ـــ سعيد الأفغاني:في أصول النحو:ص8

4ـــــــــ أنيس فريحة: نظريّات في اللّغة،الألسنية الثّالثة:ط2،1981 م ،ص 76

إلى هذا الوضع صار أمر اللّحن في المائة الأولى للهجرة،و الدّولة عربيّة محضة،و العصر ذات سلطان،فإنّنا نجد مـــمّا سبق أنّ الخوف على العربيّة له ما يفرضه،وأنّ النّحاة العرب لـــم يتصدّوا لـــمهمّة إنشاء النّحو إلاّ خدمة للقرآن،فلولا عنايتهم من ألاّ يتسرّب إليه ظاهرة اللّحن،ما فكّروا في وضعه في ذلك المكان والزّمان بعينهما(1). وهروبا من تأزّم الوضع وضياع اللّغة،اختّط العلماء خُططًا يعالجون بها استفحال الدّاء،فقاموا بجمع اللّغة وروايتهـــــــــــــا والتّقعيد لها.والجدير بالذّكر أنّ الاهتمام بالنّحو نشأ أوّل ما نشأ في ظلّ البحث عن الصّواب والخطأ في الأداء،يوم أن تفشّى اللّحن،فنهضت جماعة من اللّغويين وحملت على عاتقها عبء مُـــحاربته بغية الحفاظ على الأداء السّليم وكذا الفصيح للنّص القرآني.فَيُعَدُّ النّحو العربي عماد اللّغة العربيّة في استقامة لسانها وتوحيد العرب على قوانينـــــــــــــــها حتّى تظهر وحدتها على لسان عربيّ واحد،مصدره كلام العرب الذّي به نزل القرآن الكريم.

فكانت فكرة التّقعيد هي الأساس في نظام العربيّة بفضل ما بذله العلماء من جهود بين رواية اللّغة وبين تقعيدها والبحث عن التّعليل لها.ولأجل كلّ هذا الغرض العظيم اشتهر النحو العربيّ بقواعده بشهرة المدرستين:البصـــــــــــــــــــرة والكوفة و هما في نظرنا مؤسّستان علميتان في تاريخ الأمّة العربيّة،فكان الأساس المعرفي لمدرسة البصرة ينطلق مــــــــن مصادر الدّراسة في ثلاثة عناصر هي:القرآن والشّعر والقياس،وكان الأساس المعرفي في مدرسة الكوفة هو لغـــــــــــــــــــات الأعراب و الشّعر العربي والقراءات،وبذلك تسهل الموازنة بين هاتين المدرسيتين العظيمتين وتلتقي المدرستـــــــــــــــــــــــــــان كلتاهما في العناية بإتقان القاعدة لحماية اللّغة العربيّة من اللّحن وتهتم بالحرص على العناية الكافيّة في الحفـــــــــــــــــــــــــاظ على كتاب الله.

1ـــــــ ينظر:تـــــمّــام حسّان:الأصول دراسة ابيستيمولوجيّة للفكر اللّغوي عند العرب:الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، 1982 م ص 104 ـــ

1* النّحو عند البصريّين:إنّ الميلاد الحقيقيّ للنّحو العربّي كان بالبصرة فتطـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــوّر وازدهر بفضل عدد من علمائهـــــــا وأئمّتها البارعين،وقـــــــــــــــــد تواصلت جهود المدرسة البصريّة على أيدي علمائها الأوائل ومن بينهم أبو الأســــــــــــــــــــود الدّؤلي.

إذ يعدّ هو أوّل من وضع النّحو العربيّ،ومن علاماته في ذلك أنّه ضبط المصحف الشّريف بعلامات وضعها. "لقد وضعت البصرة من غير ريب أولى غراس النّحو العربّي كما سبق وتعهدّته بالريّ حتى استقام على سوقه ونما أصولا وفروعا"[1] حيث أسّسوا المناهج للدّرس اللّغوي،ووضعوا القواعد للنّحو،وما أكثر هؤلاء العلماء الذّين لا نستطيع ذكرهم كلّهم،بل نحاول ذكر بعضهم ومن أبرزهم:

أ *الخليل بن أحمد الفراهيدي:هو الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي،أبو عبد الرّحمن:من أئمّة اللّغة والأدب،وواضع علم العروض،أخذ من الموسيقى وكان عارفا بها،وهو أستاذ سيبويه النّحوي.ولد ومات بالبصرة وعاش فقيرا صابرا، كان شعث الرّأس،شاحب اللّون،قشف الهيئة،متمزّق الثّياب،متقطّع القدمين، مغمورا في النّاس لا يُعرف[2].

1ـــــ عبد الحسين محمّد،رشيد عبد الرّحمن،طارق عون،" تاريخ العربيّة"د.ط،د.ت،ص 17 ـــ

2ـــــــــ الزّركلي خير الدّين،الأعلام دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط 11،ماي 1995م ،ج 2،ص314ـــ

كان سيّد أهل الأدب قاطبة في علمه و زهده وعبادته ونبل أخلاقه وسماحة روحه، وكثرت الرّوايات التّي تؤكّد هذه الخصال.فقال فيه السير في:كان الغاية في تصحيح القيّاس واستخراج مسائل النّحو وتعليله.أخذ عن أبي عمرو بـــــــن العلاء وروي عن أيّوب وعاصم الأصول وغيرهما وأخذ عنه الأصمعي،وسيبويه،والنّضربن شميل،وأبو قيد مـــــــــــــــــــــــــــــــؤرّج السَّدُوسِي،وعليّ بن نصر الجهضمي وغيرهم[1]

وهو أوّل من استخرج العروض وضبط اللّغة وحصر أشعار العـــــــــــــــرب، يُقال إنّه دعا بمكّة أن يرزقه الله تعالى علما لم يسبق به،فرجع وفتح عليه بالعروض.[2]وكانت معرفتُه بالإيقاع هو الذّي أحدث له علم العروض،وكان قول الشّعر فينظم البيتين والثّلاثة وَنـــَحْوَهَا.

ويعدّ الخليل أوّل من استخرج علم العروض،وضبط اللّغة،وأملى كتاب العين.[3]

وللخليل من التّصانيف:كتاب الإيقاع،الجمل،الشّواهد،العروض،وكتاب العين في اللّغة،وله كتاب فائت العين،النّغـــــــم، النّقط والشّكل وغير ذلك[4].

1ــــــــــ ياقوت الحموي:معجم الأدباء:دار إحياء التّراث العربيّ،بيروت،لبنان،د.ط،د.ت،ج11،ص 73ــ

2ــــــــــ القفطي:انباه الرّواة على أنباء النّحاة: ج 1،ص 377ــ

3- أبو الطيّب اللّغوي:عبد الواحد بن علي "مراتب النّحويين"،المكتبة العصريّة،صيدا،بيروت،ط1، 2002م،ص 27 وما بعدها.

4ـــــــ ياقوت الحموي:معجم الأدباء:ص 74، 75 .

إنّ المتأمّل في شخصيّة الخليل بن أحمد الفراهيدي العلميّة نجده واضع النّحو العربّي في صورته المركبّة،سواء من حيث عوامله و معمولاته الظّاهرة والمقدّرة أو من حيث ما يجري فيه من شواهد ومن علل و أقيسة،ونصّه على العبارات المهملة والأخرى الشّاذة وإحداث ما سرى فيه من تمارين غير عمليّة يُقْصَدُ بها إلى التّمرين والتّدريب،ومدّ ذلك في علم الصّرف والفقه بأبنيّة الكلم واشتقاقاتها وتصريفاتها وصورها الممدودة والمقصورة والممالة والمصّغرة والمنسوبة و ما يداخلها من قلب وإعلال.[1] توفّي الخليل بن أحمد الفراهيدي عام170 ه[2]،وقيل سنة175ه،وهو ابن أربع وسبعين سنة.[3]

ب * يونس بن حبيب :

هو يونس بن حبيب الضّبي بالولاء،أبو عبد الرّحمن،ويعرف بالنّحوي،علاّمة بالأدب ، كان إمام نحاة البصرة في عصره.وهو من قرية "جَبُّل"بفتح الجيم وضمّ الباء المشددّة على دجلة،بين بغداد وَ واسط،أعجمي الأصل[4]

1ـــــــــــ ينظر:شوقي ضيف،المدارس النّحوية،دار المعارف،القاهرة،مصر،ط2،1972 م،ص 56

2ـــــــــــ طلال علامة:تطوّر النّحو العربّي في مدرستي البصرة والكوفة،دارالفكر اللّبناني،بيروت،ط 1، 1993م،ص 143ـــ

3ـــــــ ينظر الزّبيدي:طبقات النّحويين واللّغويين،ص 51ـــ

4- الزرّكلي:خير الدّين،الأعلام،ج 8،ص261ـــ

كانت حَلَقَتُهُ مَجْمَعَ فُصَحَاءِ الأعراب وأهل العلم والأدب[1]،سمع من العرب كما سَمِعَ من قبله وأخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء،وأخذ عنه سيبويه ورَوي عنه في كتابه وأخذ عنه أيضا أبو الحسن الكسائي وأَبُو زكريَّا الفَرَّاءُ وأبـــــــــــــــــــــــو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بن الـــمُثَنَّى وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم من الأئّمةِ،وكان له في العربيّة مذاهب وأقيســـــــــــــــــــــة يتفرّد بها.قال أبو عبيدة :"اختلفتُ إلى يُونُسَ أربعينَ سنةً أملأُ كُلَّ يَوْم أَلْوَاحِي مِنْ حِفْظِهِ.وقال أَبُو زيدٍ الأنصـــــــــــــــــــــــــــــاريّ جَلَسْتُ إلى يُونُسَ بن حَبِيب عَشْرَ سِنِيَن وجلس إِلَيْهِ قبلي خَلَفُ الأَحْمَر عِشْرِينَ سَنَة."[2]

وكان يونس عالـــمًا بالشِّعْرِ نَافِذَ البَصَرِ فِي تَمييز جيده من رديئه،عارفا بطبقات شعراء العرب حافظا لأشعارهم مرجع إليه في ذلك كلّه ويُروى أنّ يونس كان يفضّل الأخطل على جرير والفرزدق؛قال أبو عبيدة:"سُئِل يُونس

النّحويّ عن جرير والفرزدق والأخطل:أيّهم أشعر؟فقال:أجمعت العلماء على الأخطل.فقال أبو عبيدة:فَقُلْتُ لرجل إلى جنبـــه:

1 ـــــ ينظر:طلال علامة:تطوّر النّحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة:ص146.

2ـــــ ياقوت الحموي:معجم الأدباء:ج 10ص.65

سَلْهُ ومن هؤلاء العلماء؟فسأله فقال من شئت:ابْنُ أبي إسحاق،وأبو عمرو بن العلاء،وعيسى بن عمر الثّقفي،و عنبسة الفيل،وميمون الأقرن،هؤلاء طرقوا الكلام و مَاثُوهُ لا كَمَنْ تَحْكُونَ عنه لا بدويّين ،ولا نحويّين.فقلت للرّجل سَلْهُ:فبأيِّ شيء فُضِّلَ عليهم؟قال:بأنّه كان أكثرهم عَدَدَ قصائد طوالٍ جِيادٍ ليس فيها فُحْشٌ و لا سَقَطٌ."[1].

انتهج يونس بن حبيب طرقا خاصة به حيث استقّل في أبحاثه بآرائه حيث كان راويّا مهمّا من رواة اللّغة وذلك راجع لمخالطته الأعراب. ومن تصانيفه:"كتاب معاني القرآن الكريم،معاني القرآن الصغير،اللّغات،النّوادر وكتاب الأمثال."[2]

وكان"مولده سنة ثمانين،ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة عن مائة سنة واثنتين."[3]

1ــــــ المرجع السّابق: ج1:ص66،65 ــ

2ــــــ ابن الأنباري:نزهة الألباء في طبقات الأدباء،ص59والسّيوطي:المزهر في علوم اللغة: ج 2:ص231 والزّبيدي :طبقات النّحويين واللّغويين:ص48ــ

3ـــ ياقوت الحموي:معجم الأدباء: ج10،ص67ــ

ج * سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر[1] مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علّة بن جَلْد بن مالك بن أُدد،وسيبويه لقب ومعناه رائحة التّفاح،يقال كانت:أمُّهُ تُرَقِّصُهُ بذلك في صغره. ويقول صاحب معجم الأدباء:"ورأيْتُ ابن خَالَوَيْهِ قدِ اشْتَقَّ له غير ذلك فقال:كان سيبويه لايزال من يلقاه يشمّ منه رائحة الطِّيبِ فَسُمِّيَ سِيبويه،ومعنى سِي: ثلاثون،وبَوَيْ:الرّائحة فكأنّه رأى ثلاثين رائحةَ طِيبٍ،و لم أرَ أحدًا قال ذلك غير ابْنِ خَالَوَيْه،وأصله

مـــن البيضاء من أرض فارس ومَنْشَؤُهُ البصرة،مات فيما ذكره ابن نافع بالبصرة سنة إحدى وستّين ومائة"[2]. ويُجمـــــــــــــــــعُ آخرون على أنّه تُوُفـــــــيَ سنة180ه،أو181ه.

وكان سيبويه عالما بالنّحو واللّغة و تصاريفها،ودرس على الخليل،واختصّ به بعد دراسته على يونس بن حبـــــــــــــــــــــــــيب، وحمّاد بن سلمة،وعن الخليل كان له ما حصَّل من علم جم،عبر ما سأله عنه،وما سجّله في علوم العربيّة سمـــع الأعراب،ورأس حلقة الخليل بعد وفاته"وأقبل على وضع الكتاب الذّي لم يسبقه إلى مثله أحد،ولم يلحق بـــه بعده"[3]وبرع في النّحو حتّى بزّ أترابه فيه،فاحتفى به علماء البصرة التّي صار إمامها غير مدافع،وأخرج للنّاس كتابه الذّي أكسبه فخار الأدب،فإنه شاهدصدق على علّو كعبه في هذا الفن."[4]

2ـــــــ أبو الطّيب اللّغوي:مراتب النّحويين:ص73

3ـــــــــ ياقوت الحموي:معجم الأدباء،ص115 ــ

4ـــــــــــ ابن النّديم:الفهرست:تح مصطفى الشّويعي،الدّار التّونسيّة للنشر،تونس ،د.ط،1406ه،1985م،ص76ــ

5ـــــــ محمّد الطّنطاوي:نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة،دار المعارف،القاهرة،مصر،ط2، 1995 م ،ص 80ــ

د * أبو الحسن الأخفش:

هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة،مولى بن مجاشع بن دارم،أوسط الأخافشة الثّلاثة المشهورة،فقبله أبـــــــو الخطّاب الأكبر شيخ سيبويه،وبعده أبو الحسن الأخفش الأصغر تلميذ المبّرد وثعلب،وهو أحد أئّمة النّحاة من البصريّيـــــــن. "أخذ عن سيبويه و هو أعلم من أخذ عنه و كان أخذ عمن اخذ عنه سيبويه لأنه أسنّ منه".[1] كان الأخفش كثير الخلاف لسيبويه والقواعد النّحويّة والصّرفيّة المبثوثة في كتابه وهو خلاف بناه على أساس سعة معرفته بلغات الأعراب وقراءات القرآن الكريم وبحثه في حقائق اللّغة.إذ عمل على دراسة"الكتـــــــاب" شرح غامضه،"وكان الأخفش أعلم النّاس بالكلام وأحذقهم بالجدل،توفّي سنة خمس عشرة ومائتين،وقيل سنة إحدى وعشرين.وله من التّصانيف:كتاب الأربعة،الاشتقاق،الأصوات،الأوسط في النّحو،تفسير معاني القـــــرآن،صفات الغنـــــــم وألوانها وعلاجها وأسبابها،العروض،القوافي،المسائل الكبير،المسائل الصّغير،معاني الشّعر،المقاييس.الملوك،وقـــــــف التّمام."[2]

1ـــــــــــ ياقوت الحموي : معجم الأدباء : ج 6 : ص 226 ـــ

2 ـــــــــــ المرجع السابق ، ج6 :ص 230 ـــ

ه* أبو عثمان المازني:

هو"أبو بكر بن محمّد بن حبيب بن بقيّة،أبو عثمان المازني،من مازن شيبان:أحد الأئمّة في النّحو،من أهـــــــــــل البصرة"[1]وأخذ عن أبي عبيدة وأبي زيد والأخفش وغيرهم مع مشاركة رفيقه الجرمي،وأخذ عنه أبّو العبّـــــــــــــــــــــــــــاس المبرّد،والفضل بن أبي محمّد اليزيدي وغيرهم .و كان المازني فطنا عالما بارعا في المناظرة،لا يناظر أحدا إلاّ قطعه لقدرته على الكلام،وقد ناظر الأخفش الأوسط أستاذه فقطعه،عُرِفَ بعلمه للنّحو

والتّصريف.ويعدّ المازني من العلمـــــــــــــــاء الذّين فصلوا النّحو عن الصّرف،وذلك بعدما نظّم مادّة الصّرف من خلال استفادته من كتاب سيبويه المسمّـــــــى "الكتاب"وجعل مباحثات الصّرف متخصّصة بعد أن كانت مختلطة بالنّحو،"وأقام علمًا مستقلاّ بأبنية وأقيســــــــــــته وتمارينه الكثيرة التّي ذلل بها شوارده،ويسّرها للباحثين من بعده أمثال أبي عليّ الفارسي وابن جنّي(2). وكما برزت مكانته في الصّرف،برزت مكانته في النّحو،حتّى يقول المبّرد:"لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنّحو من أبي عثمان المازني".[3]

1 ـــــــــــ الزركلي : الأعلام : ج2 ص 69

2ـــــــــــ شوقي ضيف:المدارس النّحويّة:ص.122

3ـــــــــ القفطي:انباه الرّواة:ج 1،ص248

والمبّرد أشهر تلاميذه وأنبه نحّاة البصرة من بعده.وله تصانيف،منها كتاب"ما تلحن فيه العامّة" و"الألف و اللاّم"و"التّصريف"و"العروض"والدّيباج"ـــ[1] توفّي المازني عام 249ه في مدينة البصرة. [2]

و* أبو العبّاس المبّرد:

"هو محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير ابن حسّان بن سليمان بن سعد بن عبد الله بن يزيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أَسْلَمَ وهو ثُمَالَةُ.ثمّ ينتهي إلى الأسد بن الغوثِ وهو الأزدُ،فهـــــــــــو الثّمالّي الأزديّ البصريُّ أبو العبّاس النّحوي اللّغوي الأديب"[3]."ولد يوم الاثنين في ذي الحجّة ليلة الأضحى سنـــــة عشر ومائتين،وتوفّي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة ست وثمانين ومائتين."[4]

1 ـــــــ ابن خلكان:وفيات الأعيان:ج1،ص 92.و القفطي:انباه الرّواة:ج 1:ص 246 ــ

2 ـــــــ الزّركلي:الأعلام،ج 2،ص 69ــ

3 ـــــ ابن جنّي:سرّ صناعة الإعراب:تح:السّقا وآخرين،القاهرة "د،ط ــ1954م ــ

4ـــــــ ابن النّديم:الفهرست:ص267ــ

أخذ عن الجرمي والمازني وأبي حاتم وغيرهم.فهو من كبار البصريّين ويعدّ آخر أئمّة المدرسة البصريّة يقول عنه ابن جني:"يعدّ جيلا في العلم،وإليه أفضت مقالات أصحابنا وهو الذّي نقلها وقرأها وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها." ومن تصانيفه:"الكامل" "المقتضب"،"الرّوضة"،"الاشتقاق"،"القوافي."

ز* الزّجاج:هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل،وسميّ بالزّجاج لأنّه كان يخرط(الزّجاج) في حداثته فنسب إليه.لزم المبّرد ودرس النّحو عليه،وحسن رأي المبّرد فيه،وذاع صيته وأصبح من جلساء الخلفاء ومن تجري عليهم

رواتبهم.ولـــــــــــــــــــــــــــــــــــه آراء مختلفة تدور في كتب النّحو،منها ما يتّصل بالعوامل ومنها ما يتّصل بالتّعليل،ومنها ما يتّصل ببعض الأدوات،ومنها ما يتصّل ببعض المسائل النّحويّة الصّرفيّة."[1]

"له مصنّفات مختلفة منها كتاب شرح أبيات سيبويه،الاشتقاق،كتاب ما ينصرف و ما لا ينصرف،معاني القـــرآن. القوافي و العروض وكتاب فعلت و أفعلت،والنّوادر."[2] تُوفّي الزّجاج عام310ه.[3]

1ـــــــ ينظر شوقي ضيف:المدارس النّحوية،ص136 ــ

2ـــــــــــــ إبراهيم عبّود السّامرائي:المفيد في المدارس النّحوية،دار المسيرة للنّشر والتّوزيع،عمّان،الأردن،ط1427، 1ه، 2007،ص79ــ

3ـــــــــــ ينظر السّيوطي:بنية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة:ج2،ص179والزّبيدي:طبقات النّحويين واللّغويّين ص121 ــ

ـ2 *مصادر الدّراسة عند البصريّين:

لقد تأسسّت المدرسة البصريّة في مدينة البصرة التّي لجأت إليها القبائل العربيّة العريقة بفصاحتها كقيس و تميــم، حـــــيث اكتسب أبنائها لغة فصيحة سليمة.إذ اعتمد البصريّون في دراستهم طائفة من

المصادر،وهي:

أ* القرآن الكريم :يعتبر المصدر المهّم والأساسي الذّي أقام البصريّون نحوهم عليه،حيث كانوا يستشهدون به في كثير من المسائل بآيات قرآنية فنجدهم يضيّقون في هذا الشّأن فلم يأخذوا بقراءات عدّة وهي شيء من العربيّة، ولها أساس في لغة العرب،فقد حمّلوا بعض القراءات على الخطأ،مثل قراءة عبد الله بن عامر مقرئ الشّام(1).

في قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ}.[2] بنصب"أَوْلَادِهِمْ"و جرّ"شُرَكَائِهِمْ".فلم يقبلوا بقراءة ابن عامر،وإذا كان البصريّون يُخطئُون في قراءات مشهورة،"فإنّهم من دون شكّ لا يأخذون بالشّواذ منها على اتصال سندها وجريها على العربيّة."[3]

---

1 ـــــ إبراهيم السّامرّائي:المدارس النّحويّة،أسطورة وواقع،ص23ـ

2ـ ـــــ الآية137من سورة الأنعام.

3 ـــ إبراهيم السّامرّائي:المدارس النّحويّة:أسطورة وواقع:ص23ـــــ

ب * الشّعر الجاهلي و الإسلامي:

اعتمد البصريّون الشّعر الجاهلي أصلا من أصولهم في الاستشهاد على صحّة المسألة،كما اعتمدوا الشّـــعر الإسلامي،فاستشهدوا في نحوهم بشعر الفرزدق وجرير،وأراجيز العجاج و رؤيته،وأبي النّجم.فقد جاء في كتاب اقتراح في أصول النّحو للسّيوطي:فيما رواه ثعلب عن الأصمعي:"إنّ إبراهيم بن هرمة آخر من يحتجّ به،ومن المعلوم أنّ ابن هرمة هذا قد ولد سنة تسعين للهجرة،وعمّر طويلا حتّى تجاوز منتصف القرن الثّاني."[1]

كما طمأن أوائل البصريّين إلى سلامة لغة جماعة من ينتمون إلى أصول غير عربيّة،فقد جاء أنّ أبا عمرو بن العلاء قد قال في الحسن البصري:"ما رأيتُ أفصحَ منَ الحسنِ البصريِ والحجّاجَ بنُ يُوسُفَ الثّقفِي،فقيل له:فأيّهما أفصح؟ قال:الحسن."[2]وعليه يمكن القول أنّ البصريّين اعتمدوا لغة القرآن الكريم والشّعر القديم من جاهلي وإسلامي،"واستبعدوا الحديث الشّريف من احتجاجهم والسّبب راجع إلى كون الحديث يشمل عددا كبيرا رُويَ بالمعنى،و لم يضبط لفظه،وأنّ طائفة كبيرة من المحدثين لم يكونوا عربا."[3]

1ـــــــــــــــ ابن خلكان،"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان،تح،إحسان عبّاس،دار صادر،بيروت(د،ط)،(د،ت)ـــ ـــ

2 ـــــــــــ إبراهيم السّامرائي:المفيد في المدارس النّحوية:ص34ـــ

3ـــ السّيوطي:الإقتراح في أصول النّحو تعليق،محمود سليمان ياقوت:دار المعرفة الجامعيّة،د،ط ،1426 ه،2006م،ص 144ـــ

*ج القياس:

بدأ القياس في زمن مبكّر على نحاة البصرة القدامى،أمثال أبي إسحاق الحضرمي،ثمّ نمت بذوره على يد سيبويه الذّي أكثر منه وتوسّع فيه إلى أن بلغ كامل نضجه وتمام قوّته،وأصبح أساسا من أسس الدّراسة النّحوية التّي تبنى عليها القواعد.قال ابن الأنباري:"اعلم أنّ انكسار القياس في النّحو لا يتحقّق لأنّ النّحو كلّه قياس فمن أنكر القياس فقد أنكر النّحو ولا يعلم أحد من العلماء أنكره.

وينسب إلى الكسائي أنّه قال:إنّما النّحو قياس يتبع وبه في كل أمر ينتفع."[1]

والقياس في الحقيقة "منهج أصيل في فكر الإنسان منذ وجد".[2]

لذلك تفاوت النّحاة في اصطناعهم القياس،فمنهم من كان يتوسّع فيه،ويقيس كلّ ما وصل إليه،ومنهم من كان يتشدّد ويتحرج،فلا يقيس إلاّ على ما كان يرى أنّه كثير.أمّا الخليل فقد أكثر منه،وتوسّع فيه،فقد عرف بتصحيح القياس،وكاشف قناعه،و"النّاظر لكتاب سيبويه يجد فيه أمثلة كثيرة للأقيسة المختلفة المتعدّدة،ممّا يدّل على أنّ القياس وصل على يد الخليل إلى كامل نضجه،وتمام قوّته،وأنّه أصبح أساسا من أسس الدّراسة النّحويّة التّي تبنى عليها القواعد ويوزن بها الكلام."[3]

1ـــــــ أحمد أمين:ضحى الإسلام،دار الكتاب العربّي،بيروت،لبنان،ط1،2005 م ،ص460 ـــ

2ـــــــــــــ بلعيد صالح،في قضايا فقه اللّغة،ديوان المطبوعات الجامعيّة بن عكنون،الجزائر،(د،ط)،1995 م،ص109 ـــ

3ـــــــــــــ الزّبيدي سعيد جاسم،القياس في النّحو العربيّ(نشأته وتطوّره)،دار الشّروق،د،ط،1997م،ص 137 ـــ

فمن مظاهر"تمسّك البصريّين بالقياس استدلالهم بالشّواهد الموثوق بصحّتها الكثيرة النّظائر،فبالغوا في التّحـــــــــــــــــــــــري والتّنقيب عن الشّواهد السّليمة،وكانوا يؤوّلون ما خالف القياس والقواعد تأويلا يتّفق وقواعدهم،أو سينكـــــــــــــــــــــــــــــــــرون لكثرة ما انّدس من الرّواة وذوي الأهواء في اللّغة،أو يلتمسون الضّرورة إذا كان في نظم،فإن اعتاص كلّ ذلـــــــــــــــــــــــــــك عليهم فإنّهم يضطرون إلى جعله جزئيا شاذّا يحفظ ولا يقاس عليه."[1]

3 * النّحو عند الكوفيّين:

ظهرت مدرسة الكوفة بعد البصرة،وبدأت بداية غامضة حتّ لا يكاد يتبيّن من أمر علمائها الأوائل إلاّ مجرد أسمائهم،وهناك أقوال كثيرة حولهم وحول شغلهم بالنّحو،ومهما قيل فإن أهل الكوفة لم يفتهم الاشتراك في هذا العمل الضّخم دراسة النّحو ووضع قواعده إذ اتّخذوا البصرة متتلمذا لهم حتّى يسّر الله لهم من ثماره النّصيب الأوفى. "فاشترك علماؤها مع علماء البصرة في النّهوض به من عهد شيخهم أبو جعفر الرّؤاسي(ت175ه) ومن هنا طفق علماء المدرستين يتنافسون فيما بينهم في هذا الميدان."[2]

1ــــــــــ أحمد جميل شامي:النّحو العربي قضاياه ومراحل تطوّره،دار الحضارة للطّباعة والنّشر،بيروت،لبنان،د ـــ ط،1418ه،1997م،ص 155ــ

2ــــــــ ينظر:إبراهيم عبّود السّامرائي،المفيد في المدارس النّحوية،ص86 ــ

و سنتطرّق إلى ذكر بعض علماء هذه المدرسة ومن أشهرهم:

أ * الكسائي :هو أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الكسائي،من أصل فارسي،ولد بالكوفة في سنـــــة تسع عشـــــــــــــرة ومائة للهجرة،ونشأ بها،وأكبّ منذ نشأته على حلقات الفرّاء،ولزم حلقة حمزة الزّيات(ت156ه)،إمام قرّاء الكوفيّن لعصره،حتّى حذق قراءته،وأصبح أحد القرّاء السّبعة المشهوريين،و"سمّي بالكسائي،لأنّه أحرم في كساء وكان فطنا ذكيّا،فرأى أنّه لن يبرع في قراءة الذّكر الحكيم إلاّ إذا عرف إعرابه،فاختلف إلى حلقات أبي جعفـــر.

ومعاذ الهراء،وعيسى بن عمر،والخليل بن أحمد،يدرس النّحو."[1]

ويعدّ الكسائي من أحد القرّاء السّبعة المشهورين،وأوّل إمام كوفي ألمّ بمسائل الكوفيّين،فقد"قاد الحركة النحويّة الكوفيّة في مرحلة النّشوء والنّحو،فنهض بالنّحو نهوضا قويّا،إذ أكب منذ نشأته على حلقات الفـــــــــــــــرّاء[2]

1ــــــــــــــ ابن الأنباري:نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء،ص108ـــ

2ـــ أحمد جميل شامي،النّحو العربي قضاياه ومراحل تطورّه،ص99 ـــ

واختلف إلــــــــــــــــــى حلقات أبي جعفر الرّؤاسي،وإلى كتابه (الفيصل)لم يكتف الكسائي من أخذه عن العرب الخلّــص في بـــــــــــــــــــوادي نجد والحجاز وتهامة،بل"مضى يسمع عن أعراب الحُطمة."(1)

ومن شعر الكسائي قوله:

أَيُّهَا الطَّالِبُ عِلْمًا نَافِعًـــا
اُطْلُبِ النَّحْوَ وَدَعْ عَنْكَ الطَّمَـــــــــــــــــــــــــعَ

إِنَّـــــــمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتْبَـــعُ
وَبِـــــــهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ

يُنْتَفَعْ

وَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الفَتَى مَرَّ فِي النُّطْقِ مَرًّا فَاتَّسَعْ[2]

مات الكسائي عام 189ه،وترك وراءه كتبا قيّمة من أشهرها:"كتاب معاني القرآن،مختصر في النّحو،القراءات. العدد،النّوادر الكبير،النّوادر الأوسط،النّوادر الأصغر،اختلاف العدد،الهجاء،مقطوع القرآن وموصوله،المصادر. الحروف،أشعار المعاياة وطرائقها،الهاءات المكنّي بها في القرآن."[3]

ب*الفرّاء :هو أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الدّيلمي،مولى بني منقر"[4]،أوبني أسد من أهل الكوفة[5].

1ـــــ الحُطمة:هم عشيرة من بني عبد القيس،نَزَلَتْ في بغداد وأقامت بها وحُطمة هو ابن محارب كان يعمل الدروع،الفيروز أبادي:القاموس المحيط،قدم له وعلّق على حواشيه:أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشّافعي(ت1291 ه)،دار الكتب العلميّة،بيروت،لبنان،ط2،1428ه ،2007 م،ج 4،ص 98،فصل الحاء،باب الميم ـــ

2 ـــــ السّيوطي:بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة،ص236،وابن الأنباري،نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء،ص6ـــ

3ـــــ ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج 7،ص.202ـــ

4 ـــــ ابن النديم:الفهرست: ج 2،ص73وما بعدها ـــ

5ـــــابن الأنباري:نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء:ص83ـــ

و الدّيلمي نسبة إلى الدّيلم وهو إقليم فارسي،عُرف الفرّاء بمكانته المرموقة،فحظي بمنزلة عاليّة إذ يذكر ثعلب قولا في حقّه:"لولا الفرّاء لضاعت العربيّة."[1]تلّقى عن الكسائي وغيره،وتبحّر في علوم متنوعة،فكان فذّا في معرفة أيّام العرب وأخبارهم وأشعارهم والطّب والفلسفة والنّجوم،كان ورعا متديّنا،و"كان زائد العصبيّة على سيبويه،حتّى أنّه قرأ الكتاب و التهمة التهاما ولـمّا مات وجد تحت رأسه."[2]كما كان أبرع الكوفيّين في علمهم،وأعملهم بالنّحو ويقال:"الفرّاء أمير المؤمنين في النّحو".[3]،حيث استطاع الفرّاء بفضل براعته في النّحو أن يترك لنا مصنّفات قيّمة منها:معاني القرآن،البهاء فيما تلحن فيه العامّة،اللّغات،المصادر في القرآن،الجمع والتّثنية في القرآن،المقصور والممدود وفعل وأفعل،المذّكر والمؤنّث،الحدود وهو مشتمل على ستّة وأربعين حدّا في الإعراب،و"وقد خلّف كتبا تزيد عن الثّلاثين مؤلّفا."[4]

1ـــــ ينظر:عبد الله أحمد جاد الكريم:النّحو العربي عماد اللّغة والدّين،مصر،مكتبة الآداب،د،ط،1422ه،2002م،ص 101ـ

2ـــــ أحمد ديرة:دراسة في النّحو الكوفي،دار قتيبة،ط1،بيروت1991م،ص57ـ

3ـــــ الزرّكلي:الأعلام،ج 8،ص145ـ

4ـــــــــــ عبده الرّاجحي،دروس في المذاهب النّحوية،دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر،بيروت،د،ط،د.ت،ص93 ـــ

ـ

كان مولده عام 144ه،"توفيّ وهو في طريقه إلى مكّة سنة207 ه."[1]

ج * ثعلب:

هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار أبو العبّاس ثعلب مولى فارسي الأصل،ولد ببغداد سنة 200 ه[2]،تلّقى العلم بها وحفظ القرآن الكريم وبعض الأشعار،أخذ عن ابن الأعرابي وابن قادم وسلمة ابن عاصم وغيرهم،عُنِيَ ثعـــــــــــــــــــــــلب بالنّحو العربي وأعطاه حظّه الأوفر بين علوم العربيّة التّي اعتنى بها ويعدّ من العلماء المتأخّرين في مدرسة الكوفـــــــــــــــــــــــــة. وهو"وارث علم الكوفيّين،بل تجاوز سابقيه كما وصف إمام في اللّغة والنّحو،وهو رجل يلتهب ذكاء ويجيب ع

ـــن

1 ــــــــ ينظر:ابن الأنباري:نزهة الألّباء في طبقات الأدباء:ص98،والسّيوطي،بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة،ص411

2 ــــــــ ينظر:أبو الطّيب اللّغوي:مراتب النّحويّين:ص95 والزّبيدي،طبقات النّحويّين واللّغويّين،ص155

كلّ مسألة يسأل عنها في النّحو،القرآن،الغريب وأبيات المعاني،اختلف إلى فقهاء عصره ومنهم ابن حنبــــــــــــــــــــــــــــــل.(1) والتقى الرّواة ومنهم ابن سلاّم،وعمر بن شبَّة وغيرهما.ومن مصنّفاته:"المقصور في النّحو،اختلاف النّحويين،معانـــــي القرآن،معاني الشّعر،القراءات،التّصغير،الوقف والابتداء، الهجاء،الآمالي ،غريب القرآن،الفصيح،شرح ديوان زهيــــــــــــــــــــر والمجالس"،توفيّ ثعلب عام 291ه."

4 *مصادر الدّراسة عند الكوفيّين:

استطاع الكوفيّون أن يؤسّسوا مدرسة مستقّلة بذاتهم،ومذهبا خاصّا بهم،فوضعوا أسسا لقواعد النّحو العربــــــــــــــيّ.وانطلقوا من مصادر جعلوها نصب أعينهم الهدف الذّي يرمون إليه(2)،إذ شكّلوا مدرسة

فكريّة،والفضل يعود إلـــــــــى انتقال الدّراسة من البصرة إلى الكوفة مع كوفيّين نجدهم تتلمذوا عل يد نحاة وعلماء بصريّين،ونضرب خير مثال على الكسائي الذّي عدّ من مؤسسّي المدرسة البصريّة،تتلمذ على الخليل والفرّاء وأخذ عن يونس بن حبيـــب وقرأ كتاب سيبويه،ولا نكثر في الحديث عن المدرسة الكوفيّة،ما هي إلاّ إطلالة للولوج في مصادر النّحو الكوفي.(3)

وهي كالآتي:

1ـــــــ طلال علامة:تطوّر النّحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة:ص213 ـــ

2ـــــــــــــــ السّيوطي:بغية الوعاة:ج1،ص396ـــ

3 ـــــــــــــ ينظر:ابن النّديم:الفهرست:ص116،والقفطي:انباه الرّواة على أنباه النّحاة:ج1،ص138ـــ

لغات الأعراب:*أ

"استشهد الكوفيّون بلغات سكّان الأرياف لثقتهم بها،في حين رفض البصريّون الإستشهاد بها لضعـــف فصاحتها."[1]"ومن قبائل الأرياف:أهل اليمن الذّين لا يوثق بفصاحتهم،في رأي البصريّين،لاختلاطهم بسكّـــــــــــــــــــــــان الحبشة والهند والتّجار الذّين يفدون إليهم من مختلف الأنحاء."[2]

فقد أخذوا عن أعراب البوادي الفصحاء الذّين نقل عنهم البصريّون واحتجوا بكلامهم نحو(قيس،تميم،أسد،هذيل وبعض كنانة،وبعض الطّائيين).و"لعلّ الدّاعي الذّي جعل الكوفيّين يأخذون عن اللّهجات التّي يأباها البصريّون أنّهم وثقوا بأولئـــــــــــــــــــــــــــــك،ورأوا أنّ لغاتهم تمثّل فصيحا من اللّغات يصحّ إغفاله وخاصّة بعدما رأوها متمثّلة في قراءات القرآن السّبع."[3] كما نقل لنا الرّياشي(ت257ه) البصري:نحن نأخذ اللّغة عن حرشة الضّباب،وأكلة اليرابيع،وهؤلاء_يعـــــــــــــــــــــــــــــــــــني أهل الكوفة_أخذوا اللّغة عن أهل السّواد أصحاب الكواميخ[4]،وأكلة الشّواريز.[5].

ويروى أيضا أبو زيد(ت215 ه)عن الكسائي زعيم الكوفيّين ثمّ سار إلى بغداد فلقي أعراب الحليمات.[6]

فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللّحن،فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة.

1 ـــــــــــــ عبد العال سالم مكرم:القرآن وأثره في الدّراسات النّحوية،دار المعارف،مصر،د،ط،د،ت ــ

2 ـــــــــ أحمد جميل شامي:النّحو العربي:قضاياه ومراحل تطوّره:ص159ــ

3 ـــــــــ مهدي المخزومي:مدرسة الكوفة:تح،مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،ط.2،1998 م،ص332

4ـــــــــ الكواميخ :جمع كامخ:نوع من الإدام ــ

5 ـــــــــ الشّواريز:جمع شيراز:اللّبن الثّخين،الفيروز آبادي:القاموس المحيط،ص537ــ

6 ــــــــــ ينظر:السّيوطي:الإقتراح في علم أصول النّحو،ص202ــ

ب * الشّعر العربيّ: أُعتبر الشّعر من المصادر الهامّة التّي لم يستطع الكوفيّون الِاستغناء عنه فلو أمعنا النّظر في هذا المصدر نجد الصّبغة الشّعرية تحظى أكثر من غيرها بالعناية والرّعاية،فالشّعر هو العنصر المسيطر على دراسات الكوفيّين،ولعلّ

ما يُفسّر ذلك اهتمام كثير من الرّواة بحفظه ونقله،حيث نجد حمّاد الرّاوية يقول:"أمر النّعمان فنسخت له أشعار العرب في الطّنوج،وهي الكراريس ثمّ دفنها في قصره الأبيض،فلمّا كان المختار ابن أبي عبيدة قيل له إن تحت القصر كنز فاحتفره،فلّما فتحه أخرج تلك الأشعار،فمن ثمّ أهل الكوفة أعلم بالشّعر من أهل البصرة."[1]

ج * القراءات:

إنّ الإستشهاد بالقرآن الكريم لا مجال للنّقاش فيه،ولا يمكن أن يخضع للنّقد والتّجريح،فهو محاكاة للسان العرب فاقت لغته سائر أنواع الكلام من حيث السمو البياني و القدرة التبليغية،حتّى أصبح المثل الأعلى الذّي يفزع إليه الفقهاء،ومنه يأخذ علماء اللّغة شواهدهم،ويبني النّحوي قواعد إعرابه،ويرجع إليه القول في معرفة خطأ القول من صوابه،إلّا أن اختلاف القراءات القرآنيّة جعل بعض النّحاة يضعون شروطا كأن تصح نسبتها إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم.وأنّ توافق قواعد اللّغة العربيّة،ومن أمثلة اعتماد الكوفيّين على القراءات في تعليماتهم وبناء أصولهم وأحكامهم عليها لـمّا غلط البصريّون قراءة بن عامر.{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الـمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْشَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَايَفْتَرُونَ}[2]بجرّ شركائهم بالإضافة ونصب أولادهم على المفعوليّة.

---

1 ـــــ سالم مكرم:عبد العال:المدرسة النّحويّة في مصر والشّام،مؤسّسة الرّسالة،ط1990،2 م،ص199ـ

2ـ ـــــ الآية:37 من سورة الأنعام ـ

وقد آجتمع القرّاء أيضا على القراءة (يُخَرِّبُونَ) بالتّخفيف،من قوله تعالى:{يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي

الــــمُؤْمِنِينَ}(1).إلاّ أنّ أبا عبد الرّحمن السلمي فإنّه قرأها بالتّشديد(يُخربون)وقد تناول الفرّاء هذه الآيّة،وخرج القراءتين وصوبّهـــــــــــــــا بقوله:"كأنّ يخرّبون:يهدِمون،ويخرّبون بالتّخفيف:يخربون منها ويتركونها،ألا ترى أنّهم كانوا ينقبون الدّار فيعطّلوها؟ فهذا معنى (يخربون)و الذّين قالوا يخرّبون ذهبوا إلى التّهديم الذّي كان المسلمون يفعلونه وكـــــــــــــــــــــــــــــــــــلّ صواب،والإجماع من القرّاء أحب إليّ."(2)

ثانيّا:آراء الجرجاني في النّحاة:لقد كان للجرجاني أثرٌ كبيرٌ في متابعة أعمال النّحاة وفي آثارهم بالمناقشة والدّراسة بعدما جمع وجهات أنظارهم في قضايا نحويّة متعدّدة وظهرت عنده هذه الآراء،انطلاقا من دفاعه عن النّحو إلى انتقاده لبعض النّحويّين،فإنّ ما جاء عنده في دفاعه عن النّحو لا يحتاج إلى تفسير بسبب صراحته ووضوحه لمقاصد النّحو فيقول:"وأمّا زهدهم في النّحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به:فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الـــــــــــــــــــــــــــــــــــذّي تقدّم،وأشبه بأن يكون صدّا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ذاك لأنّهم لا يجدون بدّا من أن يعترفوا بالحاجة إليـــــــــــــه فيه.إذ كان قد علم أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتّى يكون الإعراب هو الذّي يفتحها،وأنّ الأغراض كامنة فيها حتّى يكون هو المستخرج لها،وأنّه المعيار الذّي لا يتبيّن نقصان كلام ورجحانه حتّى يعرض عليه،والمقياس الـــــــــذّي لا يعرف صحيح من سقيم حتّى يرجع إليه،ولا ينكر ذلك إلاّ من ينكر ذلك إلاّ من ينكر حسّه،وإلاّ من غالـــــــــــــــط في الحقائق نفسه وإذا كان الأمر كذلك فليت

شعري ما عذر من تهاون به وزهد فيه،ولم ير أن يستسقيه من مصبّه

1ـــــــ الآية 2 من سورة الحشر.

2 ـــــــ مهدي المخزومي:مدرسة الكوفة:ص314.

ويأخذه من معدنه"(1).وأمّا رأيه في الذّين لا يعرفون الغايات من النّحو سواءٌ أكانوا ممّن يدّعون معرفة النّحو أم كانوا من المنكرين لحقائقه وأبعاد فإنّه يوجّه لهم هذا الرّأي بالمحاجّة الذّكية والحوار اللّطيف بقوله:"قلنا:إنّا نسكت عنكم في هذا الضّرب أيضا ونعذركم فيه ونسامحكم على علم منا بأن قد أسأتم الاختيار ومنعتم أنفسكم ما فيه الحظّ لكم ومنعتموها الاطّلاع على مدارج الحكمة وعلى العلوم الجمّة.فدعوا ذلك وانظروا في الذّي اعترفتم بصحّته وبالحاجّة إليه،هل حصلتموه على وجهه؟وهل أحطتم بحقائقه؟وهل وفّيتم كلّ باب منه حقّه وأحكمتموه أحكاما يؤمنكم الخطأ فيه إذ أنتم خضتم في التّفسير،وتعاطيتم علم التّأويل،ووازنتم بين بعض الأقوال وبعض،وأردتم أن تعرفوا الصّحيح من السّقيم"(2).والجدير بالذّكر أنّ مثل هذه التّوجيهات لا يُقدّمها عبد القاهر إلى النّحاة الأعلام ممن سبقوه بزمن بعيد أو قريب وإنّما هي في طبيعته العلم فائدة ضروريّة لكلّ طالب في علوم العربيّة ولسانها وعنوان هذه العلوم في رأيه هي النّحو.من هذا المنظور يظهر اهتمام الجرجاني في آرائه مع النّحاة الكبار وعلماء العربيّة الأعلام ومنهم:

---

1 ـــــــ عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز: ص23 ،24.

2 ـــــــ المصدر السّابق:ص25.

1 ـــــــــــــــ الخليل بن أحمد الفراهيدي:

يستعرض عبد القاهر الجرجاني كلام الخليل وأقواله في كثير من بحوثه ولا سيما في كتابه شرح التّكملة كحديثه عن ظاهرة"التقاء الهمزتين في الكلمة"والشّائع عند قراءة الكلمة هو تخفيف الهمزة الأولى بينما يرى الجرجاني بـــأنّ حكمها عند الخليل بن أحمد هي تخفيف الهمزة الثّانية،وحجّة الخليل أنّ الابدال قد لحق الأخيرة في نحو لفظـــة:"آدم" ولذلك يعتبره الجرجاني قياسا وهو في رأيه أنّ الإبدال حصل من التقاء الهمزتين كما هو التّعليل في قوله وأنت لفظت بالأولى لم يكن هناك التقاء فإنّما ترتدع عند الثّانية والتّخفيف من شأنه أن يقع على ما يحصل،ومن خفّـــف الأولى لم يكن هناك التقاء(1).ويذهب عبد القاهر الجرجاني في ضرب الأمثلة نقلا عن الخليل وهو يورد الشّاهد من الآية الكريمة التّي وردت فيه الكلمة تجمع التقاء الهمزتين في قوله تعالى:{يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ}(2).وقد انتصر عبد القاهر الجرجاني لرأي الخليل وسار على مذهبه.ويرى في ذلك أنّه مذهب صاحب الكتاب ويقصد به سيبويه.(3).

2 ـــــــــــــــ يونس بن حبيب:

اهتّم الجرجاني بآراء يونس بن حبيب، فيذكر لنا أقواله ويقابلها بآراء النّحاة،ذكر الجرجاني: "وأمّا ما حكاه يونس من أنّ بعضهم قال:اعطيتكمه[4]

1ـــــــــ الجرجاني:شرح التّكملة(مخطوط)،المكتبة الظّاهريّة بدمشق،د،ط،د.ت.ص244

2 ـــــــ سورة هود:الآية:11.

3 ـــــــ الجرجاني:شرح التّكملة:ص417.

4 ـــــــ ينظر:المصدر السّابق:ص417.

فمن الشّذوذ بحيث لا يلتفت إليه،وإنّما المستعمل الشّائع ردّ الواو وهو لغة التّتريل كما ترى."[1] عَمِلَ الجرجاني على مقابلة أقوال يونس بن حبيب بأقوال النّحاة الآخرين فقال: "فيونس يقول بِنْتَــيَّ وأُخْتَــيَّ لأنّ التّاء إذا لم يكن للتّأنيث جاز أن لا يحذف ويجري مجرى التّاء في عفريت فكما يقال عفريتَــيَّ كذلك يقال بنيّ وأختّي،وأمّا الخليل وصاحب الكتاب فإنّهما اختارا ابنوي واخويّ بترك التّاء وردّ الواو الذّي هو لام و إعادة الكلمة إلى مثالها" ثم عقبّ الجرجاني على قول الخليل وصاحب الكتاب قائلا:

"وهذا قول متين وقول يونس مقتضى الظّاهر" (2)

---

1 ـــــــ الجرجاني:المقتصد في شرح الإيضاح،تح:كاظم بحر المرجان،دار الرّشيد للنّشر،العراق،د.ط،1982م،ج1،ص83.

2 ـــــــ االجرجاني:شرح التّكملة:(مخطوط)ص257.

3 ـــــــــــ سيبويه :

قام الجرجاني بعمليّة مقارنة بين رأيه وآراء أئمّة النّحاة في المسائل الخلافيّة،فيرى نفسه منتصرا لسيبويه تارة ومخالفا له تارة أخرى،والأمثلة الآتيّة توضّح ذلك:

فمن القضايا التّي تخالف فيها النّحويّون مسألة كفاية الفعل المتعدّي إلى مفعولين بالفاعل والسّكوت عليه دون ذكرهما،قال الجرجاني:"تقول:ظننت وحسبت فيجوز عند صاحب الكتاب،وهو الصّحيح."[1]

وقد ذكر أنّ أبا الحسن قال بامتناع جواز السّكوت على الفاعل،واحتجّ له أبوعلي الفارسيّ بأنّهم قد أجروا هذه الأفعال مجرى القسم فأجابوها بما يجب به القسم في نحو قوله تعالى:{وَضَلّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَالَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ}.(2)

وقول الشّاعر:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا[3]

فكما لا يجوز أن يقتصر على القسم ويسكت عن المقسم عليه فكذلك لا يسوغ ذكر الفاعل من غير المفعول.ولكنّ الجرجاني احتجّ منتصرا لسيبويه قائلا:

---

1 ـــــــ الجرجاني:المقتصد:ج1،ص553.

2 ـــــــ الآية:48،من سورة فصّلت.

3ـــــــــالتّقدير فيه(علمت واللّه لتأتين منيّتي).

"والحقيقيّة بعد مع صاحب الكتاب،وذلك أنّ جواز السّكوت على الفاعل ليس من جهة اجازتهم له في وضع استعمال فيقال:انّهم منعوا هذه الأفعال أن يسوغ هذا الحكم فيها لاعطائم ايّاها حكم القسم في غيرما نحـــــــــــــــــــــن بصدده،وإنّما ذلك شيء اجازته الحقيقة من حيث أنّ الفائدة تحصل بالخبر والمخبر عنه فما تجاوز ذلك فهـــو زيادة فيها وفضل بيان أَنْ ذُكِرَ فحسن جميل، وإن لم يذكر لم يلزم ولم يبطل الكلام كما لم يبطل بأن نترك ذكر الفاعل".[1]

وكما رأينا سابقا بأنّ الجرجاني كان منتصرا لسيبويه،وكان في الوقت نفسه مخالفا له؛إذ يذكر في كتابه دلائـــل الإعجاز أنّه كان يؤاخذ سيبويه على عدم استعماله الأمثلة:

"قال صاحب الكتاب،وهو يذكر الفاعل والمفعول:كأنّهم يقدّمون الذّي بيانه أهمّ،وهم بشأنه أعنى وإن كـــــــــــــــــــــــان جميعا يهمّانهم ويغنيانهم،ولم يذكر في ذلك مثالا."[2]

كما نقده الجرجاني أيضا،فقال:

"وهذا هو قول صاحب الكتاب وجميع العلماء بعده في(استغفرت) والأمر فيه لعمري عجيب،فأنا إذا تأمّلنـــا ما عليه الكلام وجدنا(استغفرت) على غير ما أصلّوه."[3]

1ـــــــ الجرجاني:المقتصد،ج1،ص554ـــ

2ـــــالجرجاني:دلائل الإعجاز:ص83،وينظر:سيبويه:الكتاب،تح:عبدالسّلام هارون،دار الجيل،بيروت،ط1991،1م،ج1،ص14،7 ، 15 ـــ

3 ـــــ الجرجاني:المقتصد:ج1،ص560ـــ

4 ـــــــــــــ أبو الحسن الأخفش:

وللجرجاني موقف اتّجاه أبي الحسن الأخفش وذلك في مخالفته لبعض المسائل،تذكر منها على سبيل المثال،ما تعلّق بمسألة العوامل المعنويّة.فذكر لنا أنّ العوامل على ضربين:لفظي ومعنوي وما جاء من الثّاني اثنان:أحدهما عامل الرّفع في الفعل المضارع:وهو وقوعه موقع الاسم،والثّاني ما يعمل الرّفع في الاسم المبتدأ،ولكنّ أبا الحسن الأخفش أثبـــــت عاملا معنويّا ثالثا وهو(عامل الصّفة)وذاك أنّه إذا قال:مررت بزيد الظّريف،ورأيت زيدا الظّريف،وجاءني زيد الظّريف فإنّه يجرّ الظّريف وما أشبهه بكونه صفة لمجرور،وبرفعه بكونه صفة لمرفوع،وينصبه بكونه صفة لمنصوب،و كونه صفة لمجرور أو مرفوع أو منصوب معنى يعرف بالقلب وليس للسّان فيه نصيب".[1]

قال الجرجاني :"وأثبت أبو الحسن مثالا سادسا وهو(فُعلَل) بضمّ الفاء وفتح اللاّم نحو(جُخْدَب)وصاحـــب الكتاب ينفيه ويضمّ الدّال."[2]

ثمّ قال:"فقول أبي الحسن قويّ في اثبات هذا المثال ويجوز أن يكون صاحب الكتاب تركه لأنّه ليس بالأعرف في الاستعمال."[3]

فالمتأمّل في هذا النّص يجد أن الجرجاني قد قام بعرض رأي أبي الحسن الأخفش وقابله برأي سيبويه.

1ـــــــ المصدر السّابق:ج1،ص157 ـــ

2 ـــــــ الجرجاني:شرح التّكملة:(مخطوط)،ص361

3 ـــــ المصدر نفسه،ص361 ـــ

5 ـــــــــــ أبو عثمان المازني:

عَمِلَ الجرجاني على دراسة أقوال أبي عثمان المازني وقام بمقارنتها مع أئمّة النّحويّين،قالوا:(دليص ودلاص).(1)

وقال أبو عثمان يجوز أن يكون الميم أصلا فيه يكون (دلامص)(فعالال) فيوافق(دليص)في المعنى وفي بعض حروفه ولا يكون من تركيبه،ومذهب الخليل زيادة الميم حشوا في قولهم(درع دلامص)ووزنه (فعامل).عقّب الجرجاني على قولهما قائلا:"وهذا_ يقصد قول أبي عثمان _ قول صحيح،إلاّ أنّ مذهب الخليل أوضـــــــــــــــــــــح والذّي دعا أبا عثمان إلى ذلك قلّة زيادة الميم حشوا."(2)

وكمّا عقّب الجرجاني بقوله: "ومذهب أبي عثمان لا يمكن ردّه أيضا."(3)

ذهب أبو عثمان إلى أنّ(حيوان)مصدر فعْلٍ لم يستعمل فكما قالوا فاظت نفسه فيظا وفوظا فكان فوظا مصدر فاظ يفوظ وإن لم يستعمل كذلك يكون حيوان

مصدر فعل غير(حييت) لم يخرج إلى الاستعمال،قال الجرجاني إنّ شيخه أبا الحسين حكى أنّ الشّيخ أبا علي لم يرتض هذا المذهب.(4)

وفي اجتماع الواوين وقلب احداهما همزة ذهب أبو عثمان إلى أنّ الواو في(ووعد) لم يجب قلبها همزة لأنّ الثّانيّـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة

1ــــــــ الفيروز أبادي:القاموس المحيط:"الدّليص":كأمير اللّين البرّاق كالدّلاص".مادّة(د.ل.ص) ج2:ص203.

2 ــــــــ الجرجاني:شرح التّكملة(مخطوط)ص372.

3 ــــــ المصدر نفسه:ص234.

4 ــــــ المصدر السّابق:390.

مدّه،وردّ الشّيخ أبو عليّ بأنّهم قالوا (أولى) فألزموا القلب و لم يقل(وولى) كــــــ(ووعد) بوجه مع كون الثّانيّـــ

ـــــــة مدّة،وملخّص جواب الجرجاني أنّ الواوين إذا اجتمعا يجوز ترك همز احدهما بعد حصول أمرين:اِحدهما كـــــــــــــــــــــــــــــــــون الثّانيّة مدّة،والثّاني كونها عارضة غير مقصودة قصدها فإذا فقد في اجتماع الواوين واحد من الشّرطين وجـــــــــــــــــــــــــــــــــب الهمز،"وعليه فإن(وولى)همزت الواو الأولى منها وإن كان قد حصل المدّ في الأخرى لأنّ كونها عارضة لم يحصل من حيث أنّ الواو الثّانية عين الفعل فأولى(فعلى)وليست بمنقلبة عن ألف نحو(ووعد)،و(واعد)،فالقول عنـــــــــــــــــــــــــده قول أبي عثمان(1).

6- أبو العبّاس المبرّد:

اختلف النّحاة في لفظة (حاشا) فأنكر سيبويه وأكثر البصريّين فعليتها وأنكر الكوفيّون ومنهم الفرّاء حرفيتها.[2] وهي عند الجرجاني حرف جرّ مرّة ويجعله فعلا آخر معتمدا قول أبي العبّاس المبّرد[3]الذّي جعله فعلا من قولـــه:

ولا أرى فاعلا في النّاس يشبهه وما أحاشي من الأقوام من أحد فيكون(جاءني القوم حاشا زيدا) بمعنى جعلـــــــوا زيدا في حشامنهم،و الحشى هو الجانب،[4]قال المبرّد:" وما كان فعلا فحاشا وخلا،وإن وافقا لفظ الحروف".[5]

1ـــــــ المصدر السّابق:ص394،393.

2 ـــــــ السّيوطي:همع الهوامع:شرح جمع الجوامع في علم العربيّة،بيروت،د،ط.د،ت،ج1،ص232.

3 ـــ الجرجاني:المقتصد:ج2،ص651.

4ـــــــ في ترتيب القاموس المحيط:ج1،ص651،حاشى منهم فلانا:استثناه منهم.

5ـــــــ المبرّد:المقتضب:تح:عبد الخالق عضيمة،القاهرة،د،ط.1384ه،ج4،ص391.

ويرى أبو العبّاس المبرّد أنّ البناء في باء الجرّ على الكسر لتكون حركته من جنس ما يحدّثه وعندما أُلْزِمَ بكـــــــــــاف التّشبيه احتجّ بأنّ الكاف لا يلزم الحرفيّة وقد ارتضاه الجرجاني ثمّ أوضحه قائلا:"والوجه في جلّ هذا التّعليل أنّ الكاف إذا كان اسما لم يكن عريقا في الحرفيّة،وإذا كان كذلك،لم يكن له من عمل الجرّ ما للباء الذّي لا يفارق الحرفيّة،وإذا كان كذلك،لم يكن له من عمل الجرّ ما للباء الذّي لا يفارق الحرفيّة وذلك أنّ أصل الجرّ للحـــــروف و إنما

تعمل الأسماء والجرّ على معنى الحرف فإنما قلت غلام زيد وخاتم فضّة لأنّ المعنى غلام لزيد وخاتم من فضّة"(1)

وافق عبد القاهر الجرجاني أبا العبّاس المبرّد وخالفه في بعض الآراء،إذ زعم أبو العبّاس المبرّد أنّ القياس في(هند) و(دعد) أ لا يصرف،وقد خالفه الجرجاني في ذلك قائلا:"وأمّا قول الشّيخ أبي علي:(ومن زعم أنّ القياس في دعد لا يصرف) فإنّ المقصود به أبو العبّاس،لأنّه قال فيما حكى عنه شيخنا رحمه الله:إنّ الصّرف في نحو هند ودعد لضرورة الشّعر،وليس ذلك بسديد."[2]

7 ــــــــــ الزّجاج:من المواقف التّي وقف عليها الجرجاني اتّجاه الزّجاج هي مخالفته في إعراب الآية الكريمة:{أَوْ لَــمْ تَكُنْ لَــهُمْ آيَةٌ أَنْ يُعَلِّمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ}[3]،وقد اختلف النّحاة في إعرابها[4]فمن رفع (آية)جعلها اسم كان،والخبر(أن

1ــــــ الجرجاني:المقتصد:ج1،ص81.

2 ــــــ المصدر نفسه:ج2،ص932.

3 ــــــ الآية 197،من سورة الشّعراء.

4 ــــــــــ ينظر الزّمخشري:الكشّاف عن حقائق غوامض التّتريل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل،"تح عادل أحمد عبد الموجود،وعليّ محمّد عوض،مكتبة الأعيان،الرّياض،د.ط،1988م، ج3،ص127.

أن يعلّمه) وهذا شرط(كان) اذا اجتمع فيها معرفة ونكرة.فالمعرفة بالاسم أولى من النّكرة،قال الجرجانـــ

ــــــــــي: و إنما أكّد الشّيخ أبو علي القول في هذه الآية ردّا على أبي إسحاق

الزّجاج لأنّه قال:إنّ(آية) اسم كان وذلك سهو منه بلا شبهة،وليس أبو إسحاق ممّن يعتقد ذلك مذهبا،كيف وقد تبيّن استحالة جعل النّكرة مخبرا عنه والمعرفة خبرا،ولا خلاف في فساد ذلك وهو في الشّعر غير كثير ولكنّه زلّ في هذا الموضع خاصّة.

8_الكسائي:

قرّر الجرجاني أن يكون مخالفا لآراء الكسائي والسّبب راجع إلى ما جاء في أعمال اسم الفاعل إذا كان لما مضى. قال الجرجاني:"اعلم أنّ الذّي أجاز أن يقال:مررت اليوم برجل ضارب أبوه عمرا أمس هو الكسائي،واحتجّ بهذه الآية :{وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ}[1]،لأنّ باسطا في الظّاهر ماض إلاّ أنّه في الحقيقة مختلّ جدّا لأجل أنّ المعنى على الحال،ألا ترى أنّك لو أوقعت المضارع موقعه نحو و كلبهم بسيط ذراعيه وجدته مستقيما

وإذا وقع اسم الفاعل في موضع يقتضي المضارع فليس هو بماض.....[2]

وقد خطّأ الجرجاني الكسائي في وزن (أشياء):"وقال الكسائي إنّه (أفعال) وهذا خطأ لامتناعهم من صرفه فينبغي أن لا يصرف أسماء."[3]

1ـــــ الآية 18 من سورة الكهف ـــ

2 ـــــالجرجاني:المقتصد:ج 1،ص 458، 459ـــ

3 ـــــ الجرجاني:شرح التّكملة:(مخطوط)،ص288ـــ

9_ الفرّاء:

وكما رأينا سابقا أنّ الجرجاني كان مخالفا تماما لآراء الكسائي،نلاحظ الشّيء نفسه عند الفرّاء،قائـــلا:

"وقريب من هذا قول الفرّاء:إنّ النّون في رجلان جاء للفصل بين الاسم المثنّى والمفرد المنصوب في رأيت مسلما وقد دلّلنا على سقوطه،وذكرنا أسئلة يعترض بها على مذهب صاحب الكتاب_يقصد سيبويه_(1).

والجواب عن ذلك مستقصى في المغني.(2)،(3) وأنكر الجرجاني مع أصحابه البصريّين ما ذهب إليه الفرّاء من أنّ الفعل الماضي بني على الفتح نحـــــــــــــــــــــــــــو(ضَرَبَ).للزوم ذلك إذا قيل(ضَرَبَا) وهو لا يجد في(ضَرَبَ) صفة تجعله فرعا لـــ(ضَرَبَا) بوجه من الوجوه،والأصـــــــــــــــــــــــــــــــــــــل أنّ الأحكام تسري من الأشياء بعضها إلى بعض بحسب ما يكون بينها من التّناسب والتّشارك(4).

ثم إنّ حمل الأصل ـ في ضرب المسند إلى المفرد ـعلى الفرع_في ضربا المسند إلى المثنّى ـ و إتباع السّابـــــــــــــــــــــــــــــــق ما هو متأخّر عنه في الرّتبة خلاف القياس ومعلوم أنّ الواحد_ضرب_ قبل التّثنية_ضربا_ في الرّتبة وأصـــــــــــــــــــــــــــــل لها و هي كائنة بعده.(5)

1ـــــــ سيبويه:الكتاب: ج1.ص4.

2 ـــــــ المغني:من مؤلّفات الجرجاني في النّحو وهو مفقود.

3 ــــــ الجرجاني:المقتصد: ج1،ص128.

4ـــــــ الجرجاني:التّكملة(مخطوط)ص419.

5_المصدر نفسه:ص419.

10_ثعلب:

نفعنا الجرجاني من أقوال ثعلب بما جاء فيه،في(مقتوين) من الوجوه فأورد عن شيخه أنّ أحمد بن يحيى يـــرى أنّ (مَقْتَى) من(المقت) قائلا:والمقتى الذّي يتزوّج امرأة أبيه وذلك ممقوت على الحقيقة،والألف فيه يكون للالتحاق بجعفر كألف ارطى فـــــــــــــــــ(مقتوين) على ذا يكون في تقدير ياء النّسب ويكون الواو منقلبا عن حرف زائد مثله فـــــــــــــــــي ارطوىّ و حبلوىّ.(1)

وعمل الجرجاني بمقابلة رأيه بآراء النّحاة،حيث قال:"وأمّا ما حكاه أحمد بن يحيى من قولهم(كيصى) فموافـــق لمذهب صاحب الكتاب من وجه ومخالف من آخر،أمّا وجه الموافقة فهو أنّه نونّه وجعل الألف للالتحاق بدرهم...

وأمّا وجه المخالفة فهو أنّ صاحب الكتاب لم يثبت مثال(فعلى) صفة إلاّ أن يلحق تاء التّأنيث نحو عرهـــاة و سعلاة(2).

11ـــــــــــــ أبو عليّ الفارسي:

رأينا فيما مضى أنّ الجرجاني عُني بآراء أبي عليّ الفارسي فأدار أضخم تراثه في كتابيه(الإيضاح) و(التّكملـــــــــــــــة) حيث وافقه في بعض الآراء وخالفه فيها،إذ يقول الجرجاني:

1ـــــــ المصدر السّابق:ص248.

2 ـــــــــالمصدر نفسه:ص248.

"وانّما قال_يقصد أبا علي الفارسي_يأتلف من ثلاثة أشياء،ولم يقل:الكلام ثلاثة أشياء على ما جرت عادة كثير من المتقدّمين لأجل انّ ذلك لا يخلو من غرضين:

إحداهما:أن يراد أنّ الكلام ما يجتمع فيه هذه الثّلاثة.

والثّاني:أن يراد أنّ كلّ جزء من هذه الأجزاء يكون كلاما.....(1).

ثمّ قال:"فلمّا أدّى قولهم:الكلام ثلاثة أشياء إلى هذا الفساد ترك أبو عليّ استعماله إلى ما يصّح وهو قولـــــــــــــــــــــــــه:الكلام يأتلف من ثلاثة أشياء"(2).

وقال الجرجاني أيضا:"وكذا جميع الأسباب_يقصد الأسباب المانعة من الصّرف_،وإذا كان كذلك كان(سعاد) بتأنيثه ثانيا للمذكّر،وبتعريفه ثانيا للمذكّر فيكون ثانيا من وجهين،فهذا هو الصّحيح في تفسير هذه العبـــــــــــــــــــــــــــارة وهي ممّا لم يسبق إليه الشّيخ أبو عليّ"(3).وذكر لنا الشّيخ أبو عليّ الفارسي في باب(مالا ينصـــرف):"معنى العدول:أن تريد لفظا فتعدل عن اللّفظ الذّي تريد إلى آخر وموضع (النّقل) فيه أنّ المسموع يلفـــــــــــــــــــــــــــــظ به والمراد به غيره"(4).قال الجرجاني بعد مزيد من التّوضيح والبيان:"وليس يعني الشّيخ أبو عليّ بقوله (النّقل) نقل لفظ،وإنّما يقصد بالنّقل في هذا الباب العدول عن الأصل والخروج عن الأولويّة فإذا حصل في الاسم العدل،وسبب آخر امتنع من الصّرف".(5)وناقش الجرجاني أبا عليّ الفارسي والأمثلة توضّح ذلك:

1ـــــــ الجرجاني:المقتصد: ج1،ص2.

2 ـــــ المصدر نفسه: ج1،ص3.

3 ـــــ المصدر نفسه: ج1،ص53.

4 ـــــ المصدر نفسه: ج2:ص944.

5ـــــــالمصدر نفسه: ج2،ص945.

قال الجرجاني بعد تقرير طويل:"وإذا تقرّر هذا علمت أنّ قوله:(فما جاز الاخبار عنه)وصف للاسم وليس بحدّ،لأنّك تقدّر على طرده وهو أن يقول:كلّ ما صحّ الإخبار عنه فهو اسم ولا تقدّر على عكسه،وهو أن:تقول:كلّ ما لم يصحّ الاخبار عنه فليس باسم،لمّا ذكرنا من أنّ نحو(كيف) و(أين) اسم،والإخبار عنه مع ذلك ممتنع،والحدّ يجب أن يكون مطردا منعكسا(1).

وشبّه الشّيخ أبو علي حذف الخبر بعد لولا بحذف المبتدأ في نحو قوله تعالى:{مَتَاعٌ قَلِيلٌ}(2)،ولكّن الجرجاني يرى أنّ بينهما فارقا إذ يقول:"الفصل بين الموضعين أنّ الخبر المحذوف من قولك:(لولا زيد) لا يستعمل إظهاره والمبتدأ المحذوف في نحو هذا يجوز إظهاره،ألا ترى أنّ قوله:تقلّبهم متاع قليل لو كان في غير التّنزيل لجاز اللّفظ جوازا حسنا".(3)

قال الشّيخ أبو عليّ:"ومن الأفعال ما يتعدّى بحرف الجرّ فيتّسع ويحذف حرف الجرّ فيتعدّى الفعل إلى المفعول بغير حرف جرّ،وذلك قولهم:دخلت البيت والأصل إلى البيت يدلّ على ذلك أنّ مصدره على(فعول)وأنّك قد تنقله بالهمزة فتقول:أدخلته وبحرف الجرّ فتقول:دخلت به....."(4)

1_االمصدر السّابق:ج1،ص4،5.

2 ـــــــ الآية:196،197.من سورة آل عمران.

3 ـــــــ الجرجاني:المقتصد:ج1،ص245.

4 ـــــــ المصدر السّابق:ج1،ص545،546

قال الجرجاني مناقشا:

"وأمّا استدلال الشّيخ أبي عليّ بأنّك تنقله بالهمزة فتقول:أدخلته وبحرف الجرّ فتقول:دخلت به،فليس له وجه لأنّ النّقل بالهمزة يكون في المتعدّي وغير المتعدّي،ألا تراك نقول:أحفرته بئرا كما نقول:أذهبت زيدا،فلا يدلّ قولك:أدخلته الدّار على أنّ قولك:دخلت الدّار على تقدير حرف الجرّ،لأنّ ذلك لا يختصّ بغير المتعدّي نحو: ذهب زيد وأذهبته فيدلّ على أنّ دخلت غير متعدّ.(1)

وقال الشّيخ أبو عليّ الفارسي:"البناء على السّكون في الفعل جميع أمثلة الأمر(للمخاطب)إذا لم يلحق أوّله حروف المضارعة.(2)

قيّد الأمثلة بقوله(للمخاطب) احترازا من الأمر للغائب نحو:ليضرب،وكذا أمر المتكلّم نفسه:(لأفعل) وهمـــــــــــــا مجزومان،فناقشه الجرجاني قائلا: "وقصده_يريد أبا عليّ_أن يذكر المبني الموقوف،ولو اقتصر على قوله إذا لم يلحق أوّله حروف المضارعة بدّ"(3).

قال الجرجاني:"اعلم أنّ الشّيخ أبا عليّ رحمه اللّه قال في أوّل الباب:والمعتلّ ما كان آخره ألفا أو ياء مكسورا

1_المصدر السّابق:ج1،ص549.

2_المصدر نفسه:ج1،ص69.

3_ المصدر نفسه:ج1،ص69.

ما قبلها أو همزة،فظاهر هذا يقتضي أنّ الهمزة من حروف العلّة وليس كذلك لأنّها من الحروف الصّحيحة".(1)

12_شيخه أبو الحسين الفارسي:

اجتهد الجرجاني على تبيان آراء شيخه ومن اقاشاته و الإفادة منها والاستدلال بها،فالجرجاني بيّن لنا الآراء التـــــــــــــــــــــــــي ناقش بها شيخه،أبا عليّ الفارسي وهي كالآتي:

قال الشّيخ أبو عليّ:"فالمعتّل ما كان آخره ياء أو واوا أو ألفا ولا يخلو ما قبل هذه الحروف المعتلّة من أن يكون ساكنا أو متحرّكا."(2)ونقده الشّيخ أبو الحسين قائلا:"لو حقّق لقال:(ولا يخلو ما قبل الواو والياء) وقد تابعه الجرجاني إذ يقـــول:"اعلم أنّ قوله_يقصد أبا عليّ الفارسي_:ولا يخلو ما قبل هذه الحروف.....ألخ،تسامح في العبارة،لأجل أنّـــــــــــــــــــه ذكر الواو والياء والألف ثمّ قال(ولا يخلو ما قبل هذه الحروف) ومعلوم أنّ الألف لا يكون ما قبله ساكنا البتّة(3)...تمثّل أبو عليّ بلفظ(رحى) فيما قبل آخره فتحة من الأسماء المعتلّة فقال الجرجاني:"وإذا أردت التّمثيل فينبغي أن تمثّل بالدّاخل عليه الألف واللاّم ليثبت الألف في الوصل والوقف ويحصـــل الغرض فتقول:هذه الرّحى ومررت بالرّحى ورأيت الرّحى،قال الشّيخ أبو الحسين:ولو

ذكر بدل قوله:(رحـــــــــــــــــــــــــــــــــــــى) (الرّحى)بالألف واللّام لكان أذهب في الوضوح"(4).

1ــــــــــالجرجاني:شرح الــتّكملة (مخطوط)ص245.

2 ـــــــ الجرجاني:المقتصد:ج1،ص95.

3 ـــــــالمصدر السّابق:ج1،ص95.

4 ــالمصدر نفسه:ج1،ص100ــ

قال الشّيخ أبو عليّ:"فأمّا الاسم المجموع فلا يخلو من أن يجمع جمع التّكسير أو جمع السّلامة،فجمع التّكسير يشمل أولي العلم وغيرهم".(1)

فردّ عليه أبو الحسين قائلا:"ولو قال(ما يعلم)كان أجود من(أولي العلم)."[(2)]

و لكنّ الجرجاني تابع جمهور النّحويين في قولهم عادّة(ما يعقل) لأجل أنّ هذا الجمع اختصّ بالأقدمين لأنّهم الأوّلون المقدّمون على أنواع الخلائق،ألا ترى إلى قوله عزّ وجل:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}إلى قوله عزّ وجـــلّ:{وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِنَا تَفْضِيلاً}.[(3)]ثمّ قام بمقارنة آراء شيخه أبي الحسين وأبي عليّ الفارسي ونحاة آخرين،وقوله:-في الإخبار(بظرف الزّمان على اسم العين) شرح الجرجاني رأي أبي عليّ الفارسي الذّي يذهب مذهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــب التّأويل على حذف المضاف كقولهم:اللّيلة الهلال:أي طلوعه،ثمّ عقب عليه بقول شيخه أبي الحسين،قائلا:

"أجاز الشّيخ أبو الحسين في قولهم:اللّيلة الهلال–بالنّصب–أن يكون الكلام على ظاهره غير مقدّر علــــــــــــــــــــــــــــــــــــــى حذف المضاف،قال

لأنّ الهلال يكون ظاهرا ثمّ يستر ثمّ يظهر،فلمّا اختلفت به الأحوال جرى مجـــــــــرى الأحداث التّي تقع مرّة وتزول أخرى فجاز جعل الزّمان خبرا عنه ويوضّح ما قاله:أنّ الهلال ليس باسم وضع علما للنّير،كالشّمس وسائر الكواكب،وإنما هو اسم يتناوله في حال دون حال والاسم الموضوع له هو القمر..(4)

1ـــــــــــالمصدر السابق:ج1،ص132.

2_ المصدر السّابق:ج1،ص134.

3_الآية 70،من سورة الإسراء.

4_الجرجاني:المقتصد:ج1،ص235.

وقد عززّ رأي شيخه أبي الحسين بقول أبي بكر السّراج قائلا:"قال أبو بكر محمّد بن السّرى:انّك لو قلت:الشّمس اليوم والقمر اللّيلة،لم يجز لأنّه غير متوقّع فلا يتضّمن الدّلالة على الحدوث وذلك أنّ الشّمس والقمر اسمان علمان وضعا وضع زيد وعمرو،ولم يوضعها للدّلالة على وجود صفة وحال بعد أن لم تكن فيتضمنا الدّلالة على الحدوث أو يجريا مجراه فاعرفه."[1]

في مسألة:(حذف الفعل الذّي تتعلّق به ربّ) تمثّل أبو علي الفارسيّ بقوله تعالى:{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِـــــــــــــــــكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ}[2]،إذ التّقدير(مرسلا إلى فرعون)وقد حذف لدليـــــــــــــــــــــــل الحال عليه،عقّب عليه

الجرجاني بقول شيخه إذ يقول:"وأليق من ذا بهذا الموضع قولهم:بسم اللّه،إذ المعنى ابتدئ باسم اللّه،وإنّما كان هذا أليق،لأجل أنّه قد غلب ترك الاستعمال على ما يتعلّق به ربّ،كما أنّ هذا لا يستعمل في الغالب."

ـلا تستعمل(التّاء) مع غير (الله) من الأسماء فلا يقال تالرّحمن ولا تربَّ الكعبة،وشبّهه الشّيخ أبو علي بقولهم:أسنتوا في خلاف الخصب،ولا يقال اسنتوا بمعنى دخلوا في العام وإنّما قالوا:أسنوا،إذا البدل"[3]

---

1 ـــــ المصدر السّابق:ج1،ص236،وينظر:ابن السّراج،الأصول في النّحو،تح:عبد الحسين الفتلي،مؤسّسة الرّسالة،د،ط،د،ت، ج1،ص24

2 ـــــ الآية 12 من سورة النّمل ـ

3 ـــــ الجرجاني:المقتصد:ج 2،ص769

لا يلزم في كلّ موضع فكذلك قالوا:تالله ولم يقولوا:تالرّحمن،ولكن الجرجاني استحسن قول شيخه أبي الحسين الذّي يرى أنّ الباء هي الأصل تدخل على المظهر والمضمر،والواو فرع على الباء فلا تدخل على المظهر فلا يقال: (وك أفعلن) فينقص على الباء بدرجة،والتّاء فرع على الواو فتختّص باسم الله تعالى ولا يكون له

تصـــــــــــــــــــــــــــــرف فتختصّ فإنه فرع و الفرع فهو بهد الباء بدرجتين."[1]

ختم الجرجاني عمله بنقله لآراء شيخه حيث استند إليها واستدلّ بها،ومن ذلك قولـــ

ـــ

ـــ

ـــــــــــــــــه:

أورد الجرجاني رأيا أنّ الواو والياء إذا سكّن ما قبلهما جريا بوجوه الإعراب كما يجري الصّحيح وقد استند إلى قول شيخه إذ يقول:"إنّك إذا لفظت بالياء من ظبي،والزّاي من غزو، كنت بمترلة من يقف،إذ اللّفـــ

ـــــــــظ بالسّاكن وقف في الحقيقة وإذا انتهيت إلى الياء والواو صرت كأنّك تبتدئ والحرف إذا ابتدئ به لم يكن إلاّ متحرّكا."[2]

يرى الجرجاني أن أسماء الأفعال إنّما يؤتى بها لضرب من الاختصار فـــــــــــ(صه ومه)يقومان مقام (اسكـــت)

وهكذا،وقد استند إلى قول شيخه الذّي يرى أن ذلك يشبه اضمارهم الفعل لدليل الحال عليه نحو أن نقول إذا جرى ذكر الضرب:(زيدا أوعمرا) تريد (اضرب) فتترك ذكره لدليل الحال عليه،وذاك أنّ الاضمـــ

ـــــــــــــــــار اختصار(3).

1 ـــــــ المصدر السّابق: ج2،ص777،778ــ

2 ـــــــ الجرجاني: المقتصد: ج1،ص96.

3 ـــــ المصدر السّابق، ج1،ص518

عدّ الجرجاني قولهم(مررت بامرأة حسنة وجهها) قليلا وأيّد رأيه بقول شيخه الذّي عدّه ضعيفا أيضا ووجه ضعفه أنّك إذا نقلت الضّمير من(الوجه)في قولك (بامرأة حسن وجهها)إلى الصّفة فقلت:(مررت بامرأة حسنة) لم تحتج إلى كونه في الوجه.[4]

استدّل الجرجاني بقول شيخه في تشبيه مجيء (ربّ) للتّكثير بما يجيء من الاستفهام على طريقة التّقرير كقوله تعالى:{أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخَذُونِي}[1]،وذلك أنّ الهمزة أصلها للاستفهام ثمّ غلب عليها التّقرير الذّي هـــــــــــــــــــــــــــو نقيض الشّك، كذلك أصل(ربّ) للتّقليل ثمّ غلب عليها التّقرير الذّي هو نقيض الشّك،كذلك أصـــــــــــل(ربّ) للتّقليل ثمّ غلب عليها التّكثير.عقّب عليه الجرجاني بلزوم المعرفة وقال:"إنّه موضع قلّما يتكلّم به".[2]

استدّل الجرجاني في الرّد على من خالفه في القول بأنّ الواو عوض من(ربّ) بقول شيخه،قائلا:"قال شيخنا رحمه الله:يدلّ على سقوطه ما جاء من قول رؤية أيضـــــــــا:

بَلَدٌ مُلِيَء الفجاج قتمـــ

ــــــــه لاَ يَشْتَرِي كِتَّانَهُ وَ

جَهْرَمَـــ

ـــهُ

لأنّ الواو لوكان عوضا من(ربّ) لما جاء الجرّ مع(بل)،وإذا كان كذلك علمت أنّه مضمر بعده والواو حـــرف عطف.وأجود من هذا أيضا أن يقال:إنّ الواو لو كان عوضا لوجب أن لا يجوز ظهور ربّ معه واستعمـــــــــــــــال ربّ مع الواو نحو:ربّ بلد شائع."[3]

1 ـــــــ المصدر نفسه:ج1،ص4974 ـــــ

2ـــــــــالآية 116 من سورة المائدة ــ

3 ـــــــ الجرجاني:المقتصد:ج2:ص768

4 ــــــ المصدر السّابق:ج2،ص775

أورد الشيخ أبو عليّ أمثلة في جموع التّكسير فيها زيادات يخرج بها عن القياس ومنها(أحاديث)

وقـــ

ـــــــــــــد اعتمد الجرجاني قول شيخه أبي الحسين موضّحا قائلا:"اعلم أنّ(أباطيل) جمع واحد استغني عنه بـــــــــــ(بــــــــــــاطل) نحو ابطال وابطيل وكذلك حديث وأحاديث كأنّه جمع أحداث،قال شيخنا رحمه الله:ولا يجوز أن ــ

يقــال أحدوثة النّبيّ بمترلة الأعجوبة."[1]

1-الجرجاني:شرح التّكملة (مخطوط):ص291،292.

أوّلا:توجيهه للنّحو: اجتهد عبد القاهر الجرجاني في جميع أعماله العلميّة في إعادة القراءة للنّحو العربّي على الاهتمام به،حين جعله لسان العربيّة وأساس الحفاظ عليها،فركّز اهتمامه على توسيع حلقة النّحو من القـــواعد الثّابتة بالإعـــراب،

إلى ارتباطها بالبـــلاغة العربيّة والذّوق الأدبيّ،ففكّر في تسميّة علم النّحو إلى جانب علم توخّي معاني النّحو.وسار في هذا الأمر على منهجين وهما:

1 ــ منهج الموافقة:(كتابه العوامل المائة):

وافق عبد القاهر الجرجاني النّحاة في القواعد العامّة التّي تتعلّق بالإعراب،في أسباب المرفوع والمنصوب والمجرور حيث وجدناه ينحو منحى سابقيه من النّحويّين في تعريفاتهم،وهذا ما حققّه في كتابه العوامل المائة"وقد سبق تعريفه بايجاز في الفصل الأوّل من البحث،لكن سنحـــاول مرّة ثانيّة تبيان ماورد ذكره في الأبواب التّي تناولها وهي:"باب العامل،المعمول،والإعراب".[1]

وقد وضّح لنا الدّكتور صالح بلعيد العوامل المائة بشكل مخطّط وهو كالآتي:[2]

العوامل

عوامل لفظيّة		عوامل معنويّة
عوامل سماعيّة	عوامل قياسيّة	عوامل معنويّة
13 نوعا	7 عوامل	عاملان
91 عاملا	المجموع مائة عامل	

1ـــــــ ينظر عبد القاهر الجرجاني: العوامل المائة،ص81ـــ

2 ـــــــ ينظر صالح بلعيد:التّراكيب النّحوية وسياقتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني،ديوان المطبوعات الجامعيّة،السّاحة المركزيّة،بن عكنون،الجزائر،د،ط،1994م،ص14.

والملاحظ أنّ الدّكتور صالح بلعيد لم يزد شيئا على ترتيب عبد القاهر الجرجاني نفسه،ومن خلال هذا الشّكل يتبيّن لنا أنّ العوامل مائة عامل،لفظيّة ومعنويّة، فاللّفظية سماعيّة وقياسيّة.

فالسّماعية إحدى وتسعون عاملا،والقياسيّة سبعة عـــــوامل،والمعنويّة عاملان وتتنوّع السّماعيّة على ثلاثة عشر نوعا. تطرّق عبد القاهر الجرجـــاني في باب العامل[1] إلى دراسة تحليليّة،وقال عنه:

وهو ضربين:لفظي،ومعنوي.

فاللّفظي على قسمين:سماعي،وقياسي.

فالسّماعي تسعة وأربعون،وأنواعه خمسة:

النّوع الأوّل:حروف تجرّ اسما واحدا فقط تسمّى حروف الجرّ،وحروف الإضافة، وهي عشرون: البَاءُ ، مِنْ ، إِلَى ، عَنْ ، عَلَى، اللَّامُ ، فِي ، الكَافُ ، حَتَّى ، رُبَّ ، وَاوُ القَسَمِ، تَاءُ القَسَمِ ، حَاشَا مُذْ، مُنْذُ، خَلَا، عَدَا،لَوْلَا،كَيْ،لَعَلَّ،في لغة عُقَيْل :نحو:لَعَلَّ اللّهَ تعالى يغفر ذنبي.

النّوع الثّاني:حروف تنصب الإسم،وترفع الخبر،وهي ثمان:إِنَّ، أَنْ،كَأَنَّ،لَكِنَّ،لَيْتَ،

لَعَلَّ،وهذه السّتة الحـــــروف تسمّى الحروف المشبّهة بالفعل،والحرفـــــان الآخران:إلّا في الإستثناء،لا النّافية للجنس.

النّوع الثّالث:"حرفان يرفعان الإسم،وينصبان الخبر،وهما:مَا و لَا المشبّهتان لَيْسَ"[2].

1ـــــــ عبد القاهر الجرجاني:العوامل المائة،ص81ـ

2 ـــــــ المصدر السّابق:ص83.

النّوع الرّابع:حروف تنصب الفعل المضارع،وهي أربعة أحرف:أَنْ ،لَنْ، كَيْ ،إِذَنْ.

النّوع الخامس:كلمـــات تجزم الفعل المضارع،وهي خمسة عشر:لَمْ،لَمّا،لاَمُ الأَمْرِ،

لاَ النَّاهِيَةُ،وهذه الأربعة تجزم فعلا واحدا، والأخرى :إِنْ،مَهْمَا،مَا،مَنْ،أَيْنَ، مَتَى، أَنَّى،أَيٌّ،حَيْثُمَا،إِذْمَا،إِذَامَا،وهذه الإحدى عشر تجزم فعلين،مُسميّن شرطا وجزاءً.

و القياس تسعة:[1]

الأوّل:الفعل مطلقا،فكلّ فعل يرفع وينصب،ولابدّ لكلّ فعل من مرفوع نحو:نَزَلَ القُرْآنُ نُزُلاً،فإن تمّ به كلام يُسمىّ فعلا تامّا،وإن لم يتمّ به كلام بل احتاج إلى خبر منصوب يُسمىّ فعلا ناقصا نحو:تُقْبَلُ التَّوْبَةُ مادام الرّوح داخلا في البدن.

الثّاني:اسم الفاعل:فهو يعمل عمل فعله المعلـــوم.

الثّالث:اسم المفعول:فهو يعمل عمل فعله المجهول.

الرّابع:الصّفة المشبهة،فهي أيضا تعمل عمل فعله.

الخامس:اسم التّفضيل:فهو أيضا يعمل عمل فعله.

السّادس:فهو أيضا يعمل عمل فعلـــــه.

السّابع:الاسم المضـــاف.

الثّامن:الاسم المبهم التّام،فهو يعمل النّصب.

التّاسع:معنى الفعل،أي كلّ لفظ يفهم منه معنى فعل.

1ـــــــ المصدر السّابق:ص84.

والمعنوي اثنان: الأوّل:رافع المبتدأ والخبر.

والثّاني:رافع الفعل المضارع. ثمّ أفرد دراسة مستقلّة في باب المعمول.[1]

إذ قال:هو على ضربين:معمول بالأصالة،ومعمول بالتّبعية:أي إعرابه يكون مثل إعراب متبوعه.

الضّرب الأوّل أربعة أنواع:مرفوع،منصوب،مجرور،وهو مختصّ بالاسم،ومجزوم مختصّ بالفعـــل.

أمّا المرفوع فتسعة:الفاعل،نائب الفاعل،المبتدأ،الخبر،اسم كان وأخواته،خبر باب إنّ،خبر لا النّـــــافية للجنس،اسم ما ولا المشّبهتين بليس،الفعل المضارع الخالي عن النّواصب والجوازم

وأمّا المنصوب:فثلاثة عشر:المفعول المطلق،المفعول به،المفعول فيه،المفعول له،المفعول معه،الحـــــال التّمييز،المستثنى،خبر بـــــاب كان،اسم باب إنّ،لا النّافية للجنس،

خبر ما ولا المشبّهتين بليس،الفعل المضارع الذّي دخله إحدى النّواصب.

وأمّا المجرور فاثنان:المجرور بحرف الجرّ،والثّاني المجرور بالإضافة.

وأمّا المجزوم فواحد،وهو الفعل المضارع الذّي دخله إحدى الجوازم.

والضّرب الثّاني خمسة:الصّفة،العطف بأحد الحروف العشرة،التّأكيد،البدل،عطف البيان.

---

1 ـــــــ المصدر السّابق:ص85.

ثمّ تناول باب الإعراب[1]:وعرّفه بقوله:وهو إمّا حركة،أوحرف،أوحذف،والحركة ثلاثة،ضمّة،فتحة كسرة،والحرف أربعة،واو،ياء،ألف،ونون.والحذف ثلاثة مختصّة بالفعل:حذف الحركة،حذف الآخر حذف النّون،فالجملة عشرة،وأنواع المعرب بالقياس إلى ما أعطيَ لها من هذه العشرة تسعة،لأنّ إعرابها إمّا بالحركات المحضة،

أو بالحروف المحضة،وهما مختصّان بالفعل.

والأوّل:"إمّا تامّ الإعراب."[2]وأن يكون رفعه بالضمّة،ونصبه بالفتحة،وجرّه بالكسرة، وذلك المفرد المنصرف،و"إمّا ناقص الإعراب"،وهو على قسمين:قسم رفعه بالضّمة،ونصبه وجرّه بالفتحة،وذلك غير المنصرف،وقسم رفعه بالضمّة،ونصبه وجرّه بالكسرة،وذلك جمع المؤنّث السّالم.

والثّاني:إمّا تامّ الإعراب:وهو أن يكـــون رفعه بالواو،ونصبه بالألف،وجرّه بالياء،

ذلك الأسمـــــــــاء السّتة المعتلّة المضـــافة إلى غير يـــــاء المتكلّم مفردة مكبّرةً، وهي:أَبـــــوهُ،أَخوهُ،حَمُوهَـــــــا،هَنُوهُ،فُـــــــوهُ،وذُومَـــالٍ.

1ـــــــ المصدر السّابق:ص88.

2 ـــــــ المصدر السّابق:ص88

وإمّا"ناقص الإعراب"[1]،وهو على قسمين:"قسم رَفَعَهُ بالواو ونصبه وجرّه بالياء،وذلك جمع المذكّر السّالم،وأولُو وعشرون وأخواتها،نحو:جاءنا المُرسلونَ عليهم السّلام،وصدّقنا المرسلين عليهم السّلام وآمنّا بالمرسَلين عليهم السّلام.

والثّالث:لايكون إلاّ تامّ الإعراب،وهما قسمان:قسم رفعه بالضّمة،ونصبه بالفتحة،وجزمه بحذف الحركة وهو الفعل المضارع الذّي لم يتّصل بآخره ضمير وهو حرف صحيح وقسم رفعه بالضمّة ونصبه بالفتحة،وجزمه بحذف الآخر،وذلك الفعل المضارع الذّي لم يتّصل بآخره ضمير وهو حرف علّة.

والرّابع:لا يكون إلاّ ناقص الإعراب،وهو الفعل المضارع الذّي اتّصل بآخره ضمير مرفوع غير النّون فرفعه بالنّون،ونصبه وجزمه بحذفها.

ثمّ"الإعراب إن ظهر في اللّفظ يسمّى لفظيّا،وإن لم يظهر في اللّفظ بل قُدّرَ في آخره يُسمّى تقديريّا نحوَ:أنا العاصي،وإن لم يظهر في آخره يسمّى محليّا،نحو:توكّلنا على مَنْ لا يأتي الخيرُ إلاّ من جهته".[2]

1ـــــــ المصدر السّابق:ص89.

2 ـــــــ المصدر السّابق:ص90.

2 ـــــــــــ منهج المخالفة:(علاقة النّحو بالبلاغة):

لقد انبثقت عن كلام الله تعالى علوم جليلة، كان ظهورها إمّا بوازع ديني لصون القرآن الكريم من اللّحـــــــــن كعلم النّحو،وإمّا لإبراز رونقه وإعجازه:كعلم البلاغة،فإذا كان النّحو القاعدة الأساسيّة للّغة،فإنّ البلاغة بفروعها ذروة سنامها،

إذ بتفاعلهما معا تتحقّق للّغة وظيفتها الرّئيسيّة كأداة للتّواصل بين الناس،وبفضلهما

معا تكون الرّسالة اللّغوية مضبوطة نحويّـــــا،ثمّ معبّرة عن المقـــام الذّي قيلت فيه،

أي أنّ عمل النّحوي يتوقّف عند النّظر في الأمـــور النّحوية كـــالإعراب والرّتبة، ونظم الجمل،والأدوات،والحروف،فيأتي دور البلاغي بعدما يستوعب ويفهم ما قام به النّحوي،يبني على تلك الأحكـــام النّحويّة ما يحتـــــاجه من أحكام بلاغيّة،وله أن يطرق مباحث التّقديم والتّأخير،والفصل والوصل،ومالها من دلالات ومقامات مختلفة.

حيث كثرت الآراء بين الدّارسين فمنهم من قام على الجمع بين النّحو والبلاغة، ومنهم من قام بفصلهما على أنّهما علمان مختلفان،ولا نكثرالحديث في آراء النّحاة حول قضيّة الفصل والوصل بينهما،بل ندخل في صلب الموضوع الذّي هو موضوع بحثنا،فإمامنا عبد القاهر الجرجاني عمل على الجمع بين النّحو والبلاغة وربطها وخالف النّحاة،إذ بنى نظريّة كاملة على هذا الأساس سمّاها نظريّة النّظم وسوف تكون لنا إطلالة عليها في العناصر الموالية،يقول:"واعلم أنّ ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذّي يقتضيه علـــــم النّحو وتعمل على قوانينه و أصـــول_____

_____

_____

_____

وتعرف مناهجه التّي نهجت فلا تزيغ عنها،وتحفظ الرّسوم التّي رسمت لك،فلا تخلّ بشيء منها".[1]

فأساس النّظم هو توخّي مقتضيات علم النّحو العربيّ والسّير وفقها،ثمّ يذكر قائلا:

".....فلا ترى كلاما قد وُصف بصحّة نظم أو فساده،أو وصف بمزيّة وفضل فيه إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصّحة وذلك الفساد،وذلك الفضل إلى معاني النّحو(1).

فبعد احترام قواعد النّحو كمرحلة أولى،تأتي مرحلة ملائمة ما يقتضيه المقام وهذا ما يختصّ به علم المعاني وتلك هي المرحلة الثّانية.ولقد أشار عبد القاهر من جهة أخرى إلى البنية العميقة للجملة والبنية السّطحيّة وميّز بينهما، كما أشار

إلى القواعد التّحويليّة التّي تربط بينهما.وهذه أمور سبق أن تطرق شرحها النّحـــــــــــــــــــــــــــــاة

ومثال ذلك:الأفعال النّاقصة مثل:كان وأخواتها تدخل على المبتدأ فترفعه ويسمّى اسمها،وتنصب الخبر ويسمّى خبرها،فإذا قلنا:كان زيد قائما فهذه بنية سطحيّة تقابلها زيد قائم،وتظهر القواعد التّحويليّة في دخول"كان"وما طرأ بعد ذلـــك من تفسير.

1ـــــــ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز : ص 62

تعرّض عبد القاهر إلى بحث "البنية السّطحيّة للجملة،والبنية العميقة لها،وأظهر القواعد التّحويليّة التّي تربط بينهما حيث تناول بالشّرح الاستعارة والتّشبيه". [(1)]

وأورد مثالا للاستعارة جملة:اشتعل الرّأس شيبا، فهذه بنيتها السّطحيّة،تقابلها البنية العميقة اشتعل شيب الرأس.

أمّا القواعد التّحويليّة التّي تربط بين البنيتين فهي أن يسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء،وهو لما هو عليه من سببه،فيرفع به ما يسند إليه،ويؤتى بالذّي الفعل له في المعنى منصوبا بعده.

أمّا المثال الذّي أتى به في التّشبيه فهو:كأنّ زيدا الأسد.فهذه البنية السّطحيّة للجملة،وتقابلها بنيتها العميقة: زيد كالأسد،والقواعد التّحويليّة التّي تربط بين البنيتين هي تقديم الكاف إلى صدر الكلام وتركيبها مع(أنّ) وما يلحق ذلك من تغيير للمشبه والمشبّه به.وعليه تتّضح من هذه الرّؤية أنّ الجرجاني أدرك بشكل جدّي تقسيم بنية الجملة إلى بنية عميقة وبنية سطحيّة إذ يعود له الفضل فقد كان سبّاقا على"تشومسكي وأتباعه الذّي دارت حوله نظريّة النّحو التّحويلي التّوليدي."[1]

1_المصدر السّابق:ص63.

2_____ جعفر دكّ الباب:الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني،مطبعة الجليل،دمشق،سوريا،د،ط،1980م

وهكذا عمل عبد القاهر الجرجاني على الرّبط بين النحو والبلاغة لتحقّق للنّص أدبيته."وهذا لا يعني أنّ هذه العبقرية الفذّة تغنينا عن العبقريات التيّ ظهرت حديثا منذ سنة 1816م على الأقل في الغرب في مجال علم اللّغة الجديد الذّي غدا يستغل في كلّ الحقول الدراسيّة في العلوم الإنسانية بدون استثناء

ولكن الرجل فاق أهل عصره بما تميّز به من أفكار لسانيّة جديدة طبّقها على كلّ أبواب اللّغة ونصوصها،هذه الأفكار يمكن تعميمها على أيّة لغة إنسانيّة،ممّا يسمح لنا أن نسمّيها نظريات لغويّة دون أدنى تحفظ".[1]

ثانيّا:تأسيسه نظريّة النّظم:

تابع عبد القاهر الدّراسات التّي سبقت عصره حول النّحو العربيّ فوجدها تسير على خطّ واحد وهو أنّ النّحو في مفهوم السّابقين علم مستقل بذاته،تصنعه قواعد ثابتة وهو ما يسمّى بالرّؤية المعياريّة وتنبّه إلى منهج العلماء السّابقين أنّهم لم يربطوا علم النّحو بعلم البلاغة،فقام بمحاولة ربط النّحو بالبلاغة وذلك باكتشافه لنظريّة النّظم التّي تحقّق في فحواها علاقة النّحو بالبلاغة في صناعة اللّسان العربيّ،وستكون لنا وقفة اتّجاه هذه النّظريّة بتعريف النّظم لغة واصطلاحا،والإشارة إلى أوليّات فكرة النّظم وكيفيّة تأسيسه له.[2]

1ـــــــــ ينظر تفاصيل ذلك في كتابه:

Noan Chomsky :structure syntaxiques,traduit de l'anglais par Michel braudeau _eds de seuil 1969,

2ـــــــــ عبد الجليل مرتاض:في عالم النّص والقراءة:ديوان المطبوعات الجامعيّة:ابن عكنون،الجزائر،د،ط،2007،ص 92.

أ ــ النّظم بين اللّغة والاصطلاح:

لغة:النّون والظاء والميم أصل يدلّ على تأليف شيء وتكثيفه،[1]والنّظم هو التّأليف، وضمّ شيء إلى شيء آخر يقال:نظمت اللّؤلؤ أي:جمعته في السّلك،و

التّنظيم مثله.ومنه:نظمت الشّعر،والنِّظام بكسر النّون:الخيط الذّي يُنظّم به اللّؤلؤ.[2]

ومن المجاز نظم الكلام،وهذا نظم حسن،وانتظم كلامه وأمره،وليس لأمره نظام، إذا لم تستقم طريقته[3].

ويقال:نظم القرآن،أي:عباراته التّي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة،ومن كلّ شيء ماتناسقت أجزاؤه على نسق واحد[4].فالمعنى اللّغوي المشترك إذن كما يقول حاتم الضّامن_هو ضمّ الشّيء إلى الشّيء وتنسيقه على نسق واحد كحبّات اللّؤلؤ المنتظمة في سلك.[5]

اصطلاحـــــا : تستعمل لفظة "النّظم"عادة،للدّلالة على كلّ ماله صلــة بالبحث

في الهيئات النّحويّة للكلمـــــات وما قد ينتج عنها من مزية وجمال،وتطلق أحيانا

على المعاني القائمة في النّفس،وذلك عندمـــــا تكون المزايــا في المعاني،موضعيّة

1ـــــــ ابن فارس ابن زكريا الرّازي أبي الحسين أحمد:معجم مقاييس اللّغة وضع حواشيه إبراهيم شمس الدّين،منشورات محمّد علي بيضون،دار الكتب العالميّة،بيروت،لبنان،ط1،1420ه. 1999م،مج2،ج2،ص597.

2 ـــــــابن منظور:لسان العرب مج12،دار صادر،دار بيروت للطّباعة،النّشر،د.ط،1956م،ص578.

3ـــــــ الزّمخشري:أساس البلاغة،دار صادر،بيروت،د.ط،1979م،ص641.

4ـــــــ إبراهيم مصطفى وجماعته:المعجم الوسيط،مصر،د.ط،1961م،ج3،ص668.

5 ـــــــــ حاتم صالح الضّامن:نظريّة النّظم،تطوّر وتاريخ،منشورات وزارة الثّقافة والأعلام،دار الحريّة للطّباعة،بغداد.د،ط،1979م،ص 4.

ذوقيّة،فلا يدور موضعها على صواب عرفي،وإنّما يدور على جمـــــال خاصّ يؤتاه المنشئ أو المبدع في موضع دون موضع،ويتأتّى للكلمة في مقام دون مقام.

وقد يظنّ أنّ ربط"النّظم"بالمدلول الأدبيّ أو الوجداني للتّركيب أكثر صوابا،لأنّه يكشف باستمرار علاقات بين الأشياء،ولأنّ جذوره تمتدّ كالنّبت في مسافات أخرى بعيدة فترتبط بأكثر من ممكن واحد،وتشيع على الدّوام حالات رمزيّة لا يستطيع النّحو بأدواته القريبة ودلالاته الموجهّة التّي تسيطر عليها الجزئيّة تبليغها.[1]

وباختصار هو تأليف الكلمات واتّساقها وتضامّها في نسق واحد،وهذا الاتّساق والسّبك في الألفاظ اختصّ به القرآن،وتميّز به عن نظم البلغاء؛لأنّ طريقته في تأليف حروفه ونسج كلمـــــاته وسبكها مع أخواتها تصبّ فـــي قالب واحد محكم،يدلّ على المعنى بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم.

2 ــ أوّليات الإشارة إلى فكرة النّظم:

نظـــام الكلمات موضوع عُنِيَ به النّحاة والنّقاد واللّغويّون السّابقون بدرجـــات متفـــاوتة ومبعث هذا الاهتمام هو علاقة اللّغة العربيّة بالحيـــاة،فالعرب خرجـــوا من الجزيرة واختلطوا بغيرهم من الأعاجم،فبدأت اللّغة العربيّة تتغيّر لأنّه لابدّ لهـــا من التّفاعل مع سائر اللّغات التّي لقيتها.لقد أظلّ الإسلام مساحات كبيرة من العالم،اختلفت أجناسها ولغاتها،وكان هذا الوضع كافيـــا لإثـــارة موضوع نظام الكلمات.

1ــ تامر سلوّم:نظريّة اللّغة والجمال في النّقد الأدبيّ،دار الحوار للنّشر والتّوزيع،سوريا،ط1983،1م،ص112.

ذلك أنّ نظام الكلمـــات في اللّغة العربيّة يختلف عنه في اللّغـــــات الفارسيّة مثلا.فضلا على أن اللّغة العربيّة لغة تعبّر بأواخر الكلمـــــات.بعد هذه التّوطئة التّي قصدنا منها كشف الملابســـــات التي أحاطت بفكرة نظام الكلمـــــات،وجعلتها تكتسي هذه الأهميّة الكبـــــرى،وتُعتبر مناط الحكم في كثير من القضايـــا،نعود إلى أهمّ من اهتم بفكرة ــنظام الكلمات_

لقد لفت نظام القرآن في تأليف العبارات مفسّرين كثيرين من أقدمهم:أبوعبيدة معمر بن المثنّى(ت210ه) في كتابه"مجاز القرآن"ويقصد بالمجاز الطّريقة في التّعبير.

ومن قبله سيبويه(ت180ه) الذّي أدرك أثر تنظيم الكلمات في المعنى الذّي هو قوام النّحو،ومثّـــــل له في أحيان كثيرة،منه قولـــه مثلا:"تقول العرب حمدًا لله وثنـــاءًا عليه،وحمد لله وثناء عليه".[1]

فإذن نحن بإزاء أسلوبين يفترقان في مواضع الاستعمال،ولا يختلفان في التّركيب ولا في صورة النّطق إلاّ من ناحيّة النّصب والرّفع.

هذه الملاحظات لم تكن لتفوت عالما لغويًّا ذكيّا وفطنًا كابن جنّي(ت392 ه) الذّي عقد لها فصلا عنونه "بمشابهة معاني الإعراب معاني الشّعر".

ويهمّنا أنّ هذه المعاني أوردها ابن جنّي على لســـــــان أبي عليّ الفارســـيّ الذّي أفاد من خبراته وطريقته عبد القاهر الجرجاني.وإذا تركنا جانبًا اللّغويّين،يطالعنا النّقاد وفي مقدّمتهم الجاحظ،وقد سبق جميع النّقاد إلى اعتبار

النّظم سرّ الإعجاز،ولذا ألّـــف

1ـــــــ سيبويه:الكتاب:ج1،ص7.

كتابه "نظم القرآن" في فنون الفصاحة القرآنيّة،وهو وإن لم يصل إلينا إلّا أنّ المعتمد أنّه أوّل كتاب أُفْرِد لبعض القول في الإعجاز،أو فيما يُهيّءُ القول به."[1]

أمّا ابن قتيبة في كتابه"تأويل مشكل القرآن"،لقد وجّه عنايته إلى بيان أسلوب القرآن وجريه على مجازات العرب،وطريقته الـــمُعتمدة تتمثّل في ايراد أبواب المجاز،ويعقبه بأمثلة من الشّعر ولغات العرب.

ولا تكاد تكون محاولة تذكر باستثناء ما ذهب إليه الرّماني(ت386ه)،ومن بعده الخطابي(ت388ه) في بيان أنّ وجوه الإعجاز القرآني تكمن في الأثـــــر النّفسي والارتياح هو نفسه المعادل السّيكلوجي الذّي ما انفكّ عبد القاهر يُكرّره،ويصطلح على تسميته"بالأريحية".ويتقدّم الزّمن بنا قليلا لنصل إلى القـــاضي عبد الجبّـــــــار (ت415ه) الذّي أشـــار إلى النّظم وإلى كونه يرجع إلى توخّي معاني النّحو ويذكـــر

لنا بعض القضايـــــا:

أنّ:الفصاحة لا تظهر في الكلم المفرد أي اللّفظ،وإنّما يتجلّى حضورها من خلال الموقع أي السّيـــــاق،ونظام تقديمها و تأخيرها فيه،ومفهوم النّظم هو ضمّ الكلمـــات إلى بعضها البعض على نسق معيّن،والأساس في ذاك هو المواضعة على تركيب معــــــــــــــيّن

1 – ينظر وليد محمّد مراد:نظريّة النّظم وقيمتها العلميّة في الدّراسات اللّغوية،دار الفكر بدمشق،سوريا،ط1 1403 ه ، 1983م ، ص 57،58.

يُؤدّي معنى معيّنا، كما يرجع النّظم في أساسه إلى مراعاة أبواب النّحو وفقا لوظيفة كلّ عنصر في التّركيب.

من هنا فإنّنا لا نشكّ في أن يكون عبد القاهر تلقّى أفكار عبد الجبّار،فكانت له خير ملهم في نظريّته،حتّى أنّه نقل لنا كلمة القاضي عبد الجبار التّي يقول فيها:"إنّ المعاني لا تتزايد،وإنّما تتزايد الألفاظ". (1)

و منه نخلص إلى القول إنّ نظريّة النّظم لم تكن وليدة الصّدفة،بل جاءت عصارة لغويّة جبّارة استغرقت عمرا طويلا من اللّغويّين والنّقاد وغيرهم في مختلف فروع المعرفة.إلّا أنّ هذه الجهود لم تتّخذ شكلا ممنهجـــا إلاّ في الرّبع الأخير من القرن الخامس الهجري على يد عبد القاهر الجرجاني الذّي أخرجها إلى الوجود في

صورة النّظم الذّي يرى فيه الإعجاز القرآني مع حقيقة العلاقة الرّابطة بين اللّفظ والمعنى واللّغة والفكر بأنّها علاقة يمكن إدراكها بالفّكر والذّوق.وهذا بسبب صلة علم النّحو بعلوم البلاغة.

ج ــ عبد القاهر الجرجاني يشكّل نظريّة النّظم:

إنّ النّص القرآني قُرئ قراءتين،تمّت القراءة الأولى في ضوء بلاغة الشّعر الجاهلي،وإلى هذا الأخير في ضوء بلاغـــــة النّصّ السّماوي أي القرآن.ومن هنا طرحت فكرة النّموذج،فأضفوا على الشّعر خاصيّة أجمل بيان إنساني وأجمل بيان للّغة هذا الشّعر ذاتها بإطلاق هو القرآن الكريم.أمّا القراءة الثّانية،فقد حاول أصحابها أن يضيفوا إلى قولهم بالفطرة وأهمّيتها قولهم أيضا بالثّقافة التّي تدعم هذه الفطرة وتحتضنها،إنّها القراءة التّي أسّست لشعريّة الكتابـــة

1 ـــــــــ عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز:ص256.

أو بلغة أخرى،شعريّة النصّ النّثري في مقابل الشّعر.[1]

وكلام أدونيس مقبول في هذا الصّدد من وجهة ونظر قراءته للنّثر العربّي وفهمه لتفسير العلماء لمفهوم النّظم في القرآن الكريم.

في ظلّ هذه القراءة الثّانية صاغ الجرجاني مبادئ شعريّة النصّ النّثري فيما كان يصوغ نظريّة النّظم القرآني.

هذا من جهة،وفي المقابل نجد أنّ البحث في الإعجاز قبل عبد القاهر الجرجاني أوشك أن يدخل في إشكاليّة يصعب حلّها تتمثّل في وصف القرآن لذاته بأنّه أُنزل بلسان عـــــربيّ مبين.وهو وصف جعل علماء اللّغة والمفسّرين يتّخذون الشّعر

شـــــاهـــدا

على صحّة العبـــــارة القرآنيّة،أو بالأحرى شاهـــدا على عربيّتهـــا،وذلك في وجـــه

"**الهجوم الشّعـــوبي**"على لغة القرآن الكـــريم وعلى أسلوبه.وكـــان هـــذا هو وجه الإشكاليّة الأوّل. ويتمثّل وجهها الثّاني في إيمان المسلمين بأنّ القرآن"نصّ معجز"لا يقارن من حيث مستواه بأيّ نصّ آخر شعريّـــا كان أو نثريّا.في ظرف هذه الإشكـــاليّة،يطّلع علينـــا عبد القـــاهر بنصّه في نظريّة النّظم،فيقيم

دعائم نصّ معجز كامن في النّظم،فيكـــون بذلك القرآن معجزا بنظمه،وإن جاء بلسان العرب،وعلى موضحاتهم اللّغويّــة

ووفق قـــواعد لغتهم النّحويّة.ومنه جاء حرص البـــــاحثين على تمييز بلاغة العبارة

1ـ أدونيس:الشّعريّة العربيّة:بيروت،لبنان،دار الآداب،ط1989،2م ،ص41، 42.

القرآنيّة، فراحـــوا يبحثون في تنظيم الكلمات أو الصّورة التّي جعلت المعاني الإلهيّــة

في متناول العقول.

هذا التّنظيم هو الذّي يقيم الدّليل على إعجاز القرآن وبالتّالي وجود الله تعالى.فكان البحث قائما لوجود منطقة هامّة وثريّة من المعنى،فلاحظ عبد القاهر أنّ مذهب الصَّرْفَةِ القائل بأنّ الله صرف العرب عن معارضة القرآن،قد لَقِيَ رَ مواجهة النّصّ لهذا فقد رفضه عبد القــــاهر حيث قـــال حين عرض للحجّة التّي قـــام عليهـــا القرآن"....فإنْ قـــــــال وَاجًا،ووقف حاجزا عن تفهّم جماليّة العبارة لقرآنيّة.

وهذا المذهب يعكس ضمنيّا العجز عن مواجهة النّصّ لهذا فقد رفضه عبد القاهر حيث قال حين عرض للحجّة التّي قام عليها القرآن"..فإنْ قال منهم قائل،إنّك قد أغفلت فيما رتّبت،فإنّ لنا طريقًا إلى إعجاز القرآن غير ما قلت،وهو عِلْمُنَا بعجز العرب عن أن يأتوا بمثله،وتركهم أن يعارضوه مع تكرار التّحدي عليهم وطـــــول التّقريع لهم بالعجز عنه،ولأنّ الأمر كذلك ما قـــامت به الحجّة على العجم قيامهـــا على العرب،و استوي النّاس قاطبة فلم يخرج الجاهل بلسان العرب من أن يكـــــون محجوبـــــا بالقرآن".[1]لهذا فقد سلك طريقا أخرى توصّله إلى الإعجاز،ولم يستكن وراء قضيّة الإعجـــاز،والوقوف عندهـــــا كصدّ لمجهود البحث.وقاده هذا الطريق إلى مناقشة الإعجاز مناقشة تُعَدُّ الأولى من نوعها.

1ـــــــ عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز:ص16.

في البدء،يفترض أنّ كلّ ما يتشبّث به الدّارســـون لا يقوم دليلا على إعجـــاز القرآن؛فَيُلِّمَ بما يُسمّيهِ:صفـــاء الحروف وتلاؤمها،فيراه شيئا متوفّرا في كتب النّـــاس ومحاورتهم، كيف وهذه كلّها عبارات عمّا يدرك بالعقل ويستنبط بالفكر،وليس الفكر الطّريق إلى تمييز ما يثقل على اللّسان ممّا لا يثقل،إنّما الطّريق إلى ذلك الحسّ ولولا أنّ البلوى قد عظمت بهذا الرّأي الفاسد وأنّ الذّين استهلكـــوا فيه قد صـــاروا من فرط شَغَفِهِمْ به يصغـــون إلى كلّ شيء يسمعونه.ومعلوم أن ليس النّظم من مذاقه الحروف وسلامتها ممّا يثقل على

اللّســـان في شيء،ثمّ إنّه اتّفاق من العقلاء أنّ الوصف الذّي به تناهى القرآن إلى حدّ عجز عنه المخلوقون هو الفصـــاحة والبـــلاغة وما رأينا عـــاقلا جعل القرآن فصيحـــا أو بليغـــا بأن لا يكـــون في حروفه ما يثقـــل على اللّســـان لأنّه لو كـــان يصحّ ذلك لكان يجب أن يكون السُّوقي السّاقط من الكلام و السّفساف الرّديء من الشّعر فصيح إذا خفّت حروفه."[1]

هذا النّص الطّويل الذّي بين أيدينا يدلّ على أنّ توضيحا أو إشارة،إلى أنّ الجرجاني ينفي أن يكون الإعجاز مناطه تلاؤم الحروف.وهذا ما صرّح به قائلا:"اعلم أنّا لا نأبى أن تكون مذاقه الحروف وسلامتها ممّا يثقل على اللّسان داخلا فيمـــا يوجب الفضيلة

---

1 ـــــــ المصدر السّابق:ص352.

وأن تكون ممّا يؤكّد الإعجاز وإنّمـــا الذّي ننكره رأي من يذهب إليه أن يجعله معجـــزا به وحده و يجعله الأصل والعمدة،فيخـــرج إلى ما ذكرناه من الشّنـــاعـــات"[1].

ثمّ إنّ الجرجـــاني يرى أنّ(الأمور)الإخبـــار بالأمور الغيبيّة أمرا لا يتحقّق في جميع السّور،وكـــذا حديثه عن الأمور الماضيّة،كما أنّه ليست كل المعـــاني التّي تضمّنها القرآن في أصل وضع الشّريعة والأحكـــام ممّا يتعذّر على البشر إيراده

في مثل تلك الألفـــــاظ،ويذهب في ذلك مذهبـــا بعيدا حين يرى أنّ القـــرآن لم يحدث تغييرا في دلالات الألفـــــاظ،ولا الأمر يكمن في مجيء القرآن على نمط أعجـــز العـــرب عن معارضته،وهكذا يستمرّ مسقطـــا عناصره كثيرة يرى بأنّهـــــا ليست جديرة بأن يقوم عليها الإعجاز.

فبعد أن يعرض لآيات تناولت التّحدي من قوله تعالى:{"قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ."[2]

وقوله أيضا:{قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ بِمِثْلِه}[3]يخاطب معارضيه في شيء من التّحدّي "فقولوا الآن أيجوز أن يكون الله تعالى قد أمر نبيّه صلّى الله عليه وسلّم بأن يتحدّى العرب إلى أن يعارضوا القرآن بمثله من غير أن يكونوا قد عرفوا الوصف الذّي إذا أتوا بكلام على ذلك الوصف كانوا قد أتوا بمثله؟

1ــ المصدر السّابق:ص352.

2 ــ سورة الإسراء:الآية:88

3ــ سورة هود:الآية:13.

ولابدّ من"لا" لأنّهم إن قالوا:يجوز:أبطلوا التّحدّي من حيث إنّ التّحدّي كما لايخفى هو مطالبة بأن يأتوا بكلام على وصف،ولا تصحّ المطـــالبة بالإتيان به على وصف من غير أن يكون ذلك الوصف معلوما للمطالب وتبطل بذلك دعوى الإعجـــــاز أيضا،وذلك لأنّه لا يتصوّر أن يقـــال:إنّه كان عجزا حتّى يثبت معجوز عنه

معلـــ

ـــوم

فلا يقوم في عقل عـــاقل أن يقول لخصم لـــه:قـــد أعجزك أن تفعل مثـــل فعلـــ

ـــي

وهو لا يشير له إلى وصف يعلّمه في فعله ويراه قد وقع عليه،أفلا ترى أنّه لو قـــال رجل لآخر:إنّي قد أحدثت في خـــاتم عملته صنعة أنت لا تستطيع مثلها، لم تتّجه له عليه حجة،ولم يثبت به أنّه قد أتى بمـــا يعجزه إلاّ من بعد أن يريه الخـــاتم ويشير له إلى مـــازعم أنّه أبدعه فيه من الصّنعة،لأنّه لا يصحّ وصف الإنســـان بأنّه قد عجز عن شيء حتّى يريد ذلك الشّيء،ويقصد إليه ثمّ لا يتأتّى له.وليس يتصوّر أن يقصد إلى شيء لا يعلمه وأن تكون منه إرادة لأمر لم يعلمه في جملة ولا تفصيل."(1)

وبعد إجمال ينتقل إلى تفصيل كلّ على حدّة،فالوصف الذّي حدث بموجبه الإعجاز كما يزعمون،ينبغي أن يكون حديث عهد،جاء بنــــزول القرآن الكريم ولم

يوجـــ

ـــــــــــــــــــــــــد

من ذي قبل،كمـــا أنّ الإعجاز"لا يجوز أن يكون في الكلم المفردة لأنّ تقدير كونه فيها يؤدي إلى المحال،وهو أن تكون الألفاظ المفردة التّي هي أوضاع اللّغة قد حدث في حذاقة حروفها وأصدائها أوصاف لم تكن لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن،وتكون قد اختصت في أنفسها بهيئات وصفات يسمعها

السّامعون عليهـــــا إذا كانت متلوّة في القرآن لا يجدون لها تلك الهيئات والصّفات خارج القرآن"[2].

1ــ عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز:ص266و267.

2 ــ المصدر نفسه:267.

كما أنّه لا يجوز أن يكون في الألفاظ،لا يجوز كذلك"أن تكون في معانـــي الكلم المفردة التّي هي لها بوضع اللّغة لأنّه يؤدّي إلى أن يكون قد تجدّد في معنى الحمد والرّب ومعنى العالمين والملك واليوم والدّين وهكذا الوصف لم يكن قبل نزول القرآن".[1]

فالقرآن كما أسلفنا لم يحدث تغييرا في دلالات الألفاظ والشّيء ذاته ينطبق لو ذهب أحدهم إلى أنّهم تحدّوا في الإتيان"بكلام يجعلون له مقاطع وفواصل كالذّي نراه في القرآن لأنّه أيضا ليس بأكثر من التّعويل على مراعـــــــــــاة وزن،وإنّما الفواصل في الآتي كالقوافي في الشّعر،وقد علمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو و لم يكن التّحدّي إلّا إلى فصول من الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافي لم يعزهم ذلك و لم يتعذّر عليهم."[2]

حتّى الاستعارة وجماليتها لا يعتّد بها الجرجاني فلا يمكن،أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز وأن يقصد إليها لأنّ ذلك يؤدّي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة،في مواضع من السّور الطوال مخصوصة".[3]

وهكذا تهوى بين أيدي صاحبنا عناصر كثيرة كالإيقاع والفواصل،دلالات الألفاظ، ومن بعدها الاستعارة .وأخيرا،أعتقد أنّه وقف عليه"فلم يبق إلاّ أن يكون في النّظم

وهو ماانفكّ يبحث عت موطن الإعجاز والتّأليف"(4).

1ــ المصدر السّابق:ص267.

2ـالمصدر نفسه:ص267.

3ـالمصدر نفسه:ص269.

4- المصدر السّابق : ص 270

وإذن ما هو النّظم؟

يصرّح الجرجاني في خطبة الكتاب أن النّظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض.ثمّ يمضي مفصّلا الأمـــر:"فالكلم ثلاث:اسم وفعل وحرف،وللتّعليق فيمـــا بينها طرق معلومة،وهو لا يعدو ثلاثة أقســـام:تعلّق اسم باسم،وتعلّق اسم بفعل،وتعلّق حرف بهما."[1]

ثمّ ينتقل بنا إلى شيء من التّوضيح والعمق حين يرى أن النّظم هو"أن تضع كلامك الوضع الذّي يقتضيه علم النّحو،وتعمل على قوانينه وأصوله.وتعرف مناهجه التّي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرّسوم التّي رسمت لك فلا تُخِلَّ بشيء منها.حيث أنّه لا نعلم شيئا يبتغيه النّاظم بنظمه،غير أن ينظر في وجوه كل بـــاب وفروقه،فينظـــر في(الخبـــر)إلى الوجـــوه التّي تراهـــــا في قولك:(زيـــد منطلق)و(زيـــد ينطلق)و(ينطلق زيـــد)و(منطلق زيـــد) و(زيد هو المنطلق)وغير ذلك.وفي الشّرط والجزاء إلى الوجـــوه التيّ تراهـــا في قولك:(إن تخـــرْج أخرُج)و(إن خرجت خرجتُ)و(إن تخرج فأنا

خارج)...فيعرف لكـــــلّ من ذلك موضعه،ويجيء به حيث ينبغي له.وينظر في"الحـــــروف" التّي تشترك في معنى،ثمّ يتفرّد كلّ واحد منها بخصوصيته في ذلك المعنى،فيضع كلاّ من ذلك في خاص معناه.

نحو أن يجيء بـــ(ما) في نفي الحال،وبـــ(لا) إذا لأراد نفي الاستقبال،وبـــ(إن) فيما يترجّح بين أن يكون أوّلا يكون وهكذا....[2] إنّ مـــدار النّظم عند الجرجـــــاني

---

1 ــ المصدرالسّابق:ص3.

2 ــ المصدر نفسه:ص82.

على معاني النّحو،وعلى الوجوه والفروق التّي من شأنها أن تكون تأليف الكـــــلام بحسب ما يعرض له من المعاني والأغراض التّي يوضع لها الكلام،ثمّ بحسب موقع بعضها من بعض واستعمـــال بعضهـــا مع بعض،حتّى يصير التّفاضل بين الشّاعرين أو الكاتبين إنّما يكون بتوخّي كلّ منهم لمعـــاني النّحو ووجوهه التّي علمت أنّهـــا محصـــول النّظم على النّحو الذّي يُوجِبُهُ ترتيب المعـــاني في النّفس فتخـــرج أصفى ما تكون وأصدق ما تكون شعرا و نثرا."[1]

ولكي يصل صاحبنا إلى مراده،وهو الكشف عن وجوه الإعجاز القرآنيّ كان لزاما عليه أن يضع قضيّة أساسيّة نصب عينيه وهي التّفرقة بين مستويات الكلام،مستويات تبدأ من الكلام العادي،وتنتهي بالكلام المعجز الذّي يفوق طاقة البشر.

يرى عبد القهار أنّ هذا الأمر لا يتأتّي إلاّ بالتّوقف المتأنّي على مستوى الكلام أدبيّ، من أجل ذلك توقّف عند علم الشّعر[2]،مدافعا عنه دفاعـــــا يعتبر الأوّل من نوعه في مواجهة كلّ من يغضّ من قيمة الشّعر،فيقول"أمّا الشّعر فخيّل إليها أنّه ليس فيه كثير طائل!وأن ليس إلاّ ملحة أو فكاهة أو بناء منـــزل أو وصف طلل أو نعت ناقة أو جمل،أو إسراف قول في مدح أو هجاء وأنّه ليس بشيء تمسّ الحاجة إليه في صلاح دين أو دنيا".[3]

1ــ الطّاهر قطي:"التّوجيه النّحوي للقراءات القرآنيّة(في سورة البقرة)"،ديوان المطبوعات الجامعيّة:الجزائر،د،ط.د،ت،ص3.

2 ــ عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز:ص14.

3 ــ المصدر نفسه:ص14.

ثمّ أفرد له فصلا بعد ذلك أطلق عليه"فصل في الكـــلام على من زهـــد في روايـــة الشّعر،وحفظه وذمّ الاشتغال بعلمه وتتبّعه فقد تساءل لما هذا الاهتمام بالشّعر؟، فتكون الإجابة كالآتي: لقد عدّ الشّعر ديوان العرب

والمسجّل لأحداثهم وأيّامهم،فأولوه عناية كبرى،لهذا وجدناهم يصفون محمّد صلى الله عليه وسلّم.بأنّه شاعر،لأنّ القرآن جاء على نسق أدهشهـــــم،فلم يجدوا تعبيرا، يعكس حالة الدّهشة من قولهم:شاعر.هـــذا من جهة،ومن جهة أخـــرى،إنّه أكثر الأنواع الأدبيّة انتشارا،وتعبيرا عن خصائص الأدب،وعليه يتوجّب معرفة حـــدود التّداخل بينه وبين اللّغة،والقضيّة في ذهن الجرجاني مع

كثير من سابقيه،وهي آراء تراوحت بين رؤية الإعجاز في أمر خارج النّص القرآني:

أمّا الإعجاز عند الجرجـــاني فيكمن في النّص ذاته،بمعنى داخل النّصّ،بل إنّه يكمن في كل آية من آيات القرآن الكريم،لذلك فقد ردّ على القائلين بأنّ إعجاز القرآن ينصب على عجز معاصريه عن معارضته فيقول:

"خبّرنا عمّا اتّفق عليه المسلمون من اختصـــاص يبيّن بأن كانت معجزته بـــاقية على وجه الدّهر،أتعرف له معنى غير أن لا يزال البرهـــــان منه لائحا معرضا لكلّ من أراد العلم به،وطلب الوصول إليه،والحجّة فيه،وبه ظاهرة لمـــــن أرادها،والعلم بها ممكنا لمن التمسه؟ فإذا كنت لا تشك في أن لا معنى لبقاء معجزة بالقرآن إلا أن الوصف الذّي له كـــــان معجزا قائما فيه أبـــدا،وأن الطريق إلى العلم به موجـــوـــــــد

والوصول إليه ممكن،فأنظر أي رجل تكون إذا أنت زهدت في أن تعرف حجة الله تعالى،وآثرت فيه الجهل على العلم،وعدم الاستلانة على وجودها"[1].

فالشّعر كما ذكرنا يقوم دليلا وشاهدا على إعجـــاز القرآن"وذاك أنّا إذا كنّا نعلم أنّ الجهة التّي منها قـــامت الحجّة بالقرآن وظهرت وبانت وجهرت،هي أن كـــان على حدّ من الفصـــاحة تقصر عنه قوى البشر ومنتهيـــا إلى غاية لا تطمح إليهـــا بالفكر،وكـــــان محالا أن يعرف كونه كذلك إلاّ من عرف الشّعر الذّي هو ديوان العرب وعنوان الأدب،والذّي يشكّ أنّه كـــان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصـــاحة والبيان وتنازعوا فيها قصب الرهـــان،ثمّ بحث عن العلل التّي بها كان التّباين الفضل، وزاد بعض الشّعر على بعض، كان الصّاد عن ذلك صادًا عن أن تعرف حجّة الله تعالى.و كان مثله مثل من يتصدّى للنّاس فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالى، ويقوموا به ويتلوه ويقرؤوه،ويصنع في الجملة صنيعـــــا يؤدي إلى أن يقل حفاظه، والقائمون به،ويكون سبيلها سبيل سائر العلـــــوم التّي يرويها الخلف عن السّلف، و*يؤثرها* الثّاني عن الأوّل،فمن حال بيننا وبين ماله كان حفظنا إيّاه.واجتهادنا في أن نؤدّيه ونرعاه كـــــان كمن رام أن ينسيناه جملة.ويذهبه من قل وبنا دفعةً.فســـواءٌ من منعك الشّيء الذّي ينتزع منه الشّاهد والدّليل.

1ــ المصدر السّابق: ص16.

ومن منعك السّبيل إلى انتـــــزاع تلك الدّلالـــة،والاطّلاع على تلك الشّهادة".[1]

لقد كـــــان عبد القهار مخالفا لسابقيه،فطرح السّؤال بطريقة مغايرة:ما الذّي يميّز كلاما عن كلام؟وما الصّفة البـــاهرة التّي بدهت العرب في النصّ القرآني فأحسّوا بعجزهم إزاءه رغم فصاحتهم.

فالشّعر كلام ينتمي إلى اللّغة،ولكنّه كلام يتميّز بخصائص ومعاني تدخله في حدود الفنّ،ولكنّ هذه الخصائص و"المعاني الفنيّة" يمكن الوصول إليهـــا،ولا يجب التّوقّف عند مجرّد العبارات الفضفاضة.فمثلا "لا يكفي في علم الفصـــاحة أن تنصب لهـــا قياسا،وأن تصفها وصفا مجملا،ونقـــول فيها قولا مرسلا،بللا تكون من معرفتهـــا في شيء حتّى تفصل القول وتحصل،وتضع اليد على الخصائص التّي تعرض في نظم الكلام وتعدّها واحدة واحدةً. وتسمّيها شيئا شيئا،وتكـــون معرفتك معرفة الصّنع الحاذق الذّي يعلم علم كل خيط من الإبر الذّي في الدّيباج وكـــلّ قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطّع،وكل آجُرَةٍ من الآجر الذّي في البنـــاء البديع".[2]

ثمّ إنّ الرّجل يرفض الوقوف عند منطقة "اللاّتعليل"والاكتفاء بقوله هذه الخصائص، "فلابدّ لكلّ كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة،وعلّة معقولة،وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل،وعلى صحّة ما ادّعيناه من ذلك دليل".[3]

1ـــ -المصدر السّابق:ص15.

2-المصدر السّابق:ص35.

3_المصدر السّابق:ص38.

ومن أجل ذلك يعقد مفارقة بين الشّعر والكلام العادي،فكلاهما ينتمي إلى لغة. وليست اللّغة إلّا مجموعة قوانين وضعيّة على مستوى الدّالات (اللّفظة)،ومستوى التّركيب (الجملة).

وليست الألفاظ إلاّ دوال على المعاني الجزئيّة المفردة التّي لا تكسب دلالتها إلاّ داخل السّياق،حيث تدخل اللّفظة مع غيرها في علاقات تركيبيّة.وهذا يقودنا إلى الحديث عن حركيّة اللّفظ في السّياق ليشكّل المعنى وهذا العنصر سنتناوله في العناصر الآتيّة من الفصل الثالث.وقد قام الدّكتور:محمّد عبّاس بإحصائيّة حول استعمال مصطلح النّظم ومشتقّاته في كتب الجرجاني الثّلاثة: "أسرار البلاغة"،"دلائل الإعجاز"و"الرّسالة الشّافيّة"فاهتدى إلى نسبة استعمال اللّفظة على الشّكل الآتي:[1]

اسم الكتاب	صفحاته	عدد الاستعمال	النسبة
أسرار البلاغة	368	26 مرّة	مرّة كلّ 14, 14 ص
دلائل الإعجاز	436	184 مرّة	مرة كل 30 ,2 ص
الرّسالة الشافيّة	41	59 مرّة	1 ,43 في كلّ ص

وخلاصة القول إنّ هذه الكلمة قد كثر تداولها وشاع استعمالها على أقلام الدّارسين في قضيّة الإعجاز القرآنـــي حين جنّدوا أنفسهم للرّد على الملاحدة من الشّعوبيّين

1ــ محمد عبّاس: الأبعاد الإبداعيّة في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، دار الفكر دمشق،ط1، 1999م،ص121.

الذّين ظهرت حركتهم أقوى ما تكون في ضلال الدّولة العبّاسيّة التّي احتضنت الفرس وأنزلتهم منها أكرم مترل فظهر منهم الكثيرون من الطّاغين،في القرآن أمثـــال:

حمّاد عجرد،وحمّاد الرّاوية،وحمّاد بن الزّبرقان،وبشّـــار بن برد،وابن المقفّع،ويـــونس بن أبي فروة،ومطيع بن إياس وصـــالح بن عبد القدّوس،ووالية بن الحبـــاب،وأبـــان بن عبد الحميد وغيرهم.وأكثر هؤلاء فرس لم ينسوا ديانتهم المجوسيّة.

"وهذا الطّعن في القرآن ومحاولات العلماء الجادّة لدفعه وبيان زيفه قد أظهر في البيئة الإســـــلاميّة تلك القضيّة التّي شغلت الفكر الإســـلامي منذ القرن الثّاني للهجرة، ومازالت تشغله في نطاق أضيق حتّ الآن،ونعني بها قضيّة الإعجاز،تلك التّي اندفع إليها الغيورون من العلماء يبنون تفصيلا ما فهمه المسلمـــون الأوّلون إجمـــــــالا من الإعجاز القرآني".[1]

1_ سيّد عبد الفتّاح حجاب:" نظريّة النّظم عند عبد القاهر الجرجاني وصلتها بقضيّة اللّفظ والمعنى":مجلّة كليّة اللّغة العربيّة،جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة،المملكة العربيّة السّعوديّة،العدد التّاسع 1399 ه،1979م،ص 282.

أوّلا: منهجه في النّحو:

لقد اتّبع عبد القاهر الجرجاني طريقة السّابقين في أوّل تكوينه وتحصيله العلمي في جميع مجالات الثّقافة العربيّة الإسلاميّة،وصار عنده زاد علميّ وإحاطة شـــــاملة بدواعي الفكر الحضاري الإسلامي،ثـــمّ مال بعد إطّـــــلاعه الواسع على حصيلة موروث،تجاوز أربعة قرون مضت قبله،فأجال فكره في هذا الإرث العظيم وأعـــاد قراءته وفهمه له،على نهج يوصف بالإضافة والإبداع.

إذ عمدنا إلى ضرب طائفة من الأمثلة متعلّقة بالنّحو والصّرف وحاولنا من خلالها تبيان المنهج الـــذّي سلكه عبد القاهر الجرجاني سواء أكـــــان تقليديّا أم تجديديّا والأمثلة توضّح ذلك.

1 * المنهج التّقليدي والمصطلح النّحوي عنده :

أ * الاسم و الفعل و الحرف و دلالة الكلمة :

قال الجرجاني :"اعلم أنّهم قسّموا الكلم إلى ثلاثة أقسام كما لا يخفى وهي الإسم والفعل والحرف وأجمع العلماء على أنّ هذه قسمة لا مزيد عليها،وأنّ جميع اللّغات موافقة للغة العرب في هذه القسمة،وأنّ كلّ قـــاسم قسم الألفاظ التّي لهـــا

دلالـــ

ـــــــــــــــــــــــــة

لم يزد عليها قسما رابعا وإذا كان هذا الأصل ثابتا فلابّد أن يكـــون القصد في هذه القسمة أن هاهنا أجناسا ثلاثة من الدّلالة"[1].

يتبيّن من منطوق النّص لدى الجرجاني أنّه يقوم بتلخيص جهود العلماء السّابقين في تقسيم الكـــــلام إلى ثلاثة أقسام و هو الشّائع في تداول العلماء من أنّ الكلم هي الاسم والفعل والحرف وهي الأقسام التّي تمثّل الأركان الثّلاثة في جميع اللّغات التّي وافقت اللّغة العربيّة،وأمّا من حيث الدّلالة فيكون بذلك أنّ الاسم يدلّ بنفسه على شيءٍ معيّن كالـــدّلالة المعجميّة مثال :رجل ـــ أسد ـــ حائط،فدلالته هنا في تسميّة الشّيء وأمّـــــا الفعل فيدلّ على حدث يرتبط بزمن معيّن ومثاله:فعل – يفعل ـــ افعل، في الماضي والحاضر،والمستقبل و لم يخرج عن هذا النّطاق.والجرجاني نفسه يشرح هذا العمل النّحوي بقولـــه في:

ب * أقسام الفعل و دلالته على الأزمنة : " اعلم أنّ أمثلة الفعل إنّما جاءت للدّلالة على الأزمنة الثـــلاثة فإذا :قلت (ضرب) دلّ على زمــــان ماض وضرب فيه، وإذا قلت:(يضرب)دلّ على ضرب في الحال وإذا قلت:(سيضرب)دلّ على

زمــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــان

1ــ عبد القاهر الجرجاني:المقتصد:ج 1،ص92،93.

مستقبل وضرب فيه،ولولا قصدهم إفادة الأزمنة لما احتيج إلى هذه الأمثلة"[1].

وهو في هذا النصّ يركّز على عمل الفعل في دلالة الأزمنة المختلفة التّي يأتي فيهـــا الحدث،ثمّ يسير تعليـــــــــل الجرجاني لمفهوم دلالة الأزمنة في الفعل بتفسير

آخــ

ــر

وهو قوله:"والفصل بين الحال والاستقبال أنّك تريد بالحال أجزاء من الفعل متّصلة، بيـــان ذلك: إنّـــا إذا قلنا:(زيد يصلّي) فالمراد أنّه قد حصل منه جزء و

هو آخذ في جزء آخر متّصل به ويترقّب جزءا تاليا يليه،وإذا قلت:(سيفعل) لم يكن له التباس بالفعل على وجه،ولو قصد الجزء الواحد من الفعل لم يكن الزّمان مجاوزا قسمين، لأنّه إمّا أن يكون حاصلا أو غير حاصل"[2].

يعلّل عبد القاهر في هذا النّص التّمييز بين"الحال "والاستقبال وهو الأمر الذّي يتعلّق بوقـــوع الفعل في الحاضر وهو الحال كمـــا سمّـــاه ومثّل له بقوله "زيد يصلي". إذ أنّ حدوث الفعل قائم في الحال سواء انتهى حدث الصّلاة أو لم ينته ولذلك عبّر

عنه بقوله :"فالمراد أنّه حصل منه جزء وهو آخر متّصل به "ويترقّب جزءا تاليا يليه".

1ـــــــــالمصدر السّابق:ص 19.

2ـــــــــالمصدرنفسه:ج1،ص21،482،481.

وأمّ الاستقبال فقد مثّل له بلفظة"سيفعل أي أنّ الحدث لا يجب في الحال وإنّمـــا هو منتظر الوقـــــوع فيما يستقبل مت الزّمن وهذا مـــــا يبيّنه

بقوله: لم يكن له التبـــــاس بالفعل على وجه،أي لم يحدث الفعل وإنّما هو قابت الحدوث.

1 * المنهج التّجديدي والمصطلح النّحوي عنده :

أ * المعنى النّحوي :

يقوم عبد القاهر الجرجاني بدراسة النّحو على الطّريقة التّعليمية التّقليديّة، كما جاء هذا النّحو في آثـــار السّابقين بحيث أنّه لم يتجاوز حكمهم على الكـــلام في ثلاثيّة تاريخيّة في لســـان العرب،يقول الجرجاني"ومعلوم أن ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض والكلم ثلاث:اسم وفعل وحرف وللتّعليق فيما بينها طرق معلومة،وهو لا يعدو ثلاثة أقسام:تعلّق اسم باسم، وتعلّق اسم بفعل،وتعلّق حرف بهما."[1].ويضرب أمثلة لكلّ قسم من هذه الأقسام الثّلاثة

ويعطي حكما عامّا يحدّد فيه رأيه في القاعدة العامّة للنّحو العربي.

1ـــــــ عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز:ص:ف.

"فهذه الطّرق والوجوه في تعلّق الكلم بعضها ببعض وهي كما تراها معاني النّحو وأحكامه."[1]

وخلاصة ما ذهب إليه الجرجاني في هذا النّص أنّه لم يخرج عمّا جاء به السّابقون من هذا التّحديد في التّقسيم لمفهوم الكلم،إذ أنّ الكلام عندهم اسم،وفعل،وحرف ثمّ يتوسّعون في كلّ قسم من هذه الأقسام الثّلاثة وفي اتّصال كلّ قسم بالقسم الآخر، كما فعل عبد القاهر الجرجاني في ضرب الأمثلة على ذلك.[2]

و بعد محاولة عبد القاهر في احتوائه للثّقافة النّحوية وإحاطة علمه بها،ذهب إلى محاولة التّجديد والإبداع إلاّ أنّ عنصر التّجديد عنده سما به إلى محاولة نقل النّحو العربي إلى مجال أوسع وهو ارتباطه بالبلاغة خاصّة وتحقيق علاقة بينه وبينها في عمليّة البحث عن العلائق في لسان العرب،فخرج بفكرة تعليق الكلام بعضه ببعض،وانطلق من أساس بعيد و هو ربط اللّغة بالفكر لأن اللّغة تعبّر عن معان والمعاني هي في الأصل وليدة الفكر،ولكن تنظيم هذه المعاني يمرّ بعلم النّحو في عمليّة التّركيب و البناء،فسمّى بذلك كلّ هذه العمليّة "معاني النّحو" أو توخي معاني النّحو،و هاهو ذا يقول"واعلم أنيّ لست أقول إنّ الفكر لا يتعلّق بمعاني الكلم المفردة أصلا،ولكنّي أقول إنّه لا يتعلّق بها مجردة من معاني النّحو ومنطوقا بها على وجه لا يتأتّى معه تقدير معاني النّحو وتوخّيها فيها كالذّي أريتك،و إلاّ فإنّك

1ـــــــ المصدر السابق : ص : ش.

2 ـــــــ ينظر : المصدر نفسه : من ص : ف ، ق ، ر ، ش .

إذا فكرت في الفعلين أو الاسمين تريد أن تخبر بأحدهما عن الشّيء أيّهما أولى أن تخبر به عنه وأشبه بغرضك مثل أن تنظر أيّهما أمدح وأذمّ وفكرت في الشّيئين تريد أن تشبه الشّيء بأحدهما أيّهما أشبه به كنت قد فكّرت في معاني أنفـــس الكلم.

إلاّ أنّ فكرك ذلك لم يكن إلاّ من بعد أن توخّيت فيهـــا معنى من معـــاني النّحو، وهو إن أردت جـــــعل الاسم الذّي فكّرت فيه خبرا عن شيء أردت فيه مدحا أو ذمّا أو تشبيها أو غير ذلك من الأغـــراض و لم تجيء إلى فعل أو اسم ففكّرت فيه فردا ومن غير أن كان لك قصد أن تجعله خبـــــرا أو غير خبر فاعرف ذلك و إن أردت مثالا فخذ بيت بشّار[1] .

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه .

و القصد من المصطلح لـــ"معاني النّحو" في استعمالات الجرجاني يأخذ دلالة واضحة تستنتج من الدّلالات التّي عرف بها علم النّحو،ويقسّمها بعض العلماء المحدثين إلى ثلاثة أقسام ومنهم الدّكتور تمّام حسّان:

1_ المعنى الوظيفي : وهو المعنى الذّي تكشف عنه المباني التّحليلية للّغة،فالفاعليّة وظيفة الاسم المرفوع و الوقف وظيفة السّكون وهكذا .

2_**المعنى المعجمي** : وهو ما تدلّ عليه الكلمة المفردة كما في المعاجم.

1ــ المصدر السّابق:ص314، 315.

3_**المعنى المقامي (الدلالي)** :وهو المعنى الذّي لا يكتفي بتحليل تركيب المقال ولا بمعنى كلماته المفردة و إنما يراه فوق ذلك في ضوء المقام .

وفي إطار هذا التّقسيم للمعنى يرى هؤلاء أن المعنى النّحوي إنّما هو المعنى الوظيفي وبدا لهم أن النّحاة القدامى و بينهم الجرجاني، [1] قد قصدوا بالمعنى النّحوي المعنى الدلالي أو المعجمي لا المعنى الوظيفي وقد قصدوا بقولهم (الإعراب فرع المعنى)، ذلك أيضا وصوابه عند المحدثين(الإعراب فرع المعنى الوظيفي)[2]

وإذا جئنا إلى نصّ عبد القاهر الجرجاني الآتي أدركنا حقيقة المصطلح الخاصّ بمعاني النّحو في وظيفته يقول:"واعلم أنّك تجد هؤلاء الذّين يشكّون فيما قلناه تجري على ألسنتهم ألفاظ وعبارات لا يصحّ لها معنى سوى توخّي معاني النّحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ثمّ تراهم لا يعلمون ذلك،فمن ذلك ما يقوله النّاس قاطبة من أنّ العاقل يرتّب في نفسه ما يريد أن يتكلّم به وإذا رجعنا إلى أنفسنا لم نجد لذلك معنى سوى أنّه يقصد إلى قولك ضرب فيجعله خبرا عن زيد و يجعل الضرب الذي أخبر بوقوعه منه واقعا على عمرو و يجعل يوم الجمعة زمانه الذي وقع فيه و يجعل التأديب غرضه الذي فعل الضرب من أجله فيقول:

1 ـــــــــ ينظر تمّام حسّان:مناهج البحث في اللّغة:مكتبة الأنجلو المصريّة،د،ط،1955م ص 204.

2ـــــــــالمرجعُ نفسه:ص194.

ضرب زيد عمرا يوم الجمعة تأديبا له:وهذا كما ترى هو توخّي معاني النّحو فيما

بين معـــــاني هذه الكلم.ولو أنّك فرضت أن لا تتوخّى في ضرب أن تجعله خبرا عن زيد،وفي عمرو أن تجعله مفعولا به لضرب،وفي يوم الجمعة أن تجعله زمان لهذا الضرب،مـــــا تصور في عقل ولا وقع في وهم أن نكون مرتّبا لهذه الكلم.وإذ قد عرفت ذلك فهو العبرة في الكلام كلّه،فمن ظنّ ظنّا يؤدّي إلى خلافه ظن ما يخرج به عن المعقول."[1]

ب * **التّناسق بين النّحو والنّظم**:مّما لاشك فيه أنّ فكرة التّجديد عند عبد القاهر الجرجاني تكمن في سعيه الدّؤوب إلى فكرة الرّبط دوما بين النّحو والبلاغة،ويتمّ عنده هذا المسعى بين علم النّحو وعلم البلاغة عن طريق جمعهما في فكرة واحدة هي النّظم،وقد جعل من لفظة النّظم مصطلحا خاصّا به يمليه على القرّاء وينـــافح لأجله في فخر واعتزاز فهو يصرّح في مـــوقف تطفو فيه الجرأة،ويعلوه التّحـــدّي بشجاعة أدبيّة عاليّة يكتنفها شعور بالخروج على

المألــوف ومعــاكسة الموروث في الأحكام وبانتهاج طريق غير طريق سابقيه ومعاصريه:

1ـــــــ عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز : ص 310.

إِنِّي أَقُولُ مَقَالًا لَسْتُ أُخْفِيــــــــــــــــــــــــــهِ وَلَسْتُ أَرْهَبُ خَصْمًا إِنْ بَدَأَ فِيهِ

مَــــامِنْ سَبِيلٍ إِلَى إِثْبَاتِ مُعْجِزِهِ فِي النَّظْمِ إِلاَّ بِمَا أَصْبَحْتُ أُبْدِيهِ[1]

يتبيّن من منطوق النّصّ الشّعري،أنّه لا يعيق الباحث شيء أن أقرّ مع عبد القاهر، بعد هذا التّصريح،أنّه الواضع الأوّل لنظريّة النّظم،وهو لا يخفـــــي مخـــالفته لمن سبقه في اثارتها وان ظنّ فيه الخصومة والمعارضة فالنّظم عنده سبب المعجزة.

ومن الدّلالة الواضحة أنّ هذه الأبيات المقتطفة من قصيدته حول الموضوع،ليست ذات مسحة شعريّة عاليّة بقدر مـــا هي منظومة تعليميّة غايتها ترسيخ متن المنهج الأدبي في تحديد معالم النّظريّة وأسسها،كما يوضّحه هذا النّسق التّعبيري:

هَذِي قَوَانِينُ يُلْفَى مَنْ تَتَبَّعَهَا مَايُشْبِهُ البَحْرَ فَيْضًا مِنْ نَوَاحِيهِ

وَقَدْ عَلِمْنَا بِأَنَّ النَّظْمَ لَيْسَ سِوَى حُكْمٍ مِنَ النَّحْوِ نَمْضِي فِي تَوَخِّيه[2]

ثم يتبنّى عبد القاهر هذه القواعد ويعود إليها في مواطن كثرة كتابيه[3]

1ـــــــ المصدر. السّابق : ص : ث .

2ـــــــ المصدر السّابق : ص ث .

3 ـــــــ يَقْصِدُ بِهِمَا : دلائل الإعجاز : و أسرار البلاغة .

خاصّة،ليشرحها من متنها بالتّفصيل كقوله:

"ومعلوم أنّ ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض،وجعل بعضها بسبب من بعض،جعل بعضها بسبب من بعض،والكلم ثلاث:اسم وفعل وحرف،وللتّعليق فيما بينهما طرق معلومة."[1]

فإنّنا نجد عبد القاهر يحصر النّظم في معنى النّحو وبذلك"تنطلق الدّراسة اللّغويّة

عند عبد القاهر من المفهوم النّظري للنّظم الذّي حصره في معاني النّحو وعلم النّحو ذاته."[2]

وبهذا المفهوم يتأكّد لنا أنّ عبد القاهر جعل النّظم والنّحو كلمتين مترادفتين لشيء واحد.[3]

لكن هذا القول يحمل من الصّواب والصّحة الشّيء الكثير،لكن عبد القاهر يجعل النّظم أشمل وأعمّ،إذا رأينا أنّ المقصد من النّحو هو الجوانب الإعرابيّة التّي تخضع إلى معيارية القاعدة كما هو الحال في وظيفة العوامل في تعيين المرفوع والمنصوب

1 ـــــــــ عبد القاهر الجرجاني : المدخل في دلائل الإعجاز : ص : ف .

2 ـــــــــ د . محمد عبّاس : الأبعاد الإبداعيّة في منهج عبد القاهر الجرجاني : ص 66.

3 ـــــــــ د . عبد الجبّار توامة: القرائن المعنويّة في النّحو العربيّ ، رسالة جامعيّة لنيل شهادة الدّكتوراه ، جامعة الجزائر ، 1994م ، 1995 م ، ص 22.

والمجرور وغيره،وهذا الفهم هو الذّي نصّ عليه عبد القاهر بقوله:

" واعلم أنّ ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذّي يقتضيه علم النّحو،وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التّي نهجت فلا تزيغ عنها،وتحفظ الرّسوم التّي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها وذلك أنا لا أعلم شيئا يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه"[1].

"و كما يتضح جليّا،أنّ اهتمام عبد القاهر بظاهرة التّركيب اللّغوي التّي يجري بها النّسق الأدبي أمر دائم وضروري الارتبـــــاط بحلقة النّظم التّي من أجلها أقام بحثه في معاني الإعجاز"(2).

فالنّظم عنده مبنيّ على تركيب العلاقات النّحويّة بين أبوابه ومنها علاقة الإسناد، والعامل والمعمول وعمليّة التّعدية،وعنده أنّ النّظم يتعلّق بذهن المتكلّم ومـــا يخمر في نفسه من نظام الكلام وتنظيمـــه في الصّورة التّي يريدها هذا المتكلّم وما يخمر في نفسه من نظام الكلام وتنظيمه في الصّورة التّي يريدها هذا المتكلّم فالنّظم:

"كما فهمه عبد القاهر هو نظم المعاني النّحويّة في نفس المتكلّم لا بناء الكلمـــات في صورة جملة."(3)

ولـــمّا يتمعّن القارئ في منهج عبد القاهر في النّظم يجد أنّ التّركيب النّحوي عنده

1ـــــــ عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز :تح محمد التّنجي،لبنان،بيروت،دار الكتاب العربيّ،ط 1،2005م،ص 70.

2 ـــــــ محمّد عبّاس : أدبيّة التّفسير عند عبد القاهر الجرجاني ، حوليات الجامعة للبحوث الإنسانيّة و العلميّة تصدرها جامعة وهران ، الجزائر ، العدد 3 ، 1996م ، ص13 .

3 ـــــــ تمّام حسّان : اللّغة معناها ومبناها ، القاهرة ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، ط2، 1979م ، ص 188.

لا يكتفي بما يُحدّثه العامل من تغيّرات في اللّفظ وإنّما يجري على نوعيين من المعاني:

النّوع الأوّل:يدلّ على ظاهر اللّفظ اللّغوي.

النّوع الثّاني:يدلّ دلالة إضافيّة لمعنى النّوع الأوّل،ومقصد البلاغة موقوف على هذين النّوعيين والدّلالـــة الإضافيّة.

"ليس المقصـــــود معرفة قواعد النّحو وحدهـــا،ولكن فيما تحدثه هذه القواعد، وما تستـــتبعه من معنى وما يتولّد عن النّظم من مدلول".[1]

في رحاب هذا المفهوم الشّامل للنّحو كما أوضحه عبد القاهر الجرجاني خليق بنا أن نتصوّر كم كان خطأ الوصف اللّغوي كبيرا حينما راح يعالج القواعد النّحويّة منعزلة عن المعجم،باعتبارهما وحدتين مستقلتين عن بعضهما البعض،دون روابط داخليّة تربطهمـــا،وكانت النّتيجة وخيمة لأولئك الـــذّين راحـــوا يتعلّمون اللّغة من خلال القواعد النّحويّة كقوانين صارمة،أو من خلال تعلّمها عن طريق لمفردات وحدها.علما أنّه لا يمكن أن نتصوّر نظامـــــا نحويّا منعزلا عن المعجميّة،ولا نظما منعزلا عن النّحو.

فالتّصور السّليم هو أنّ النّحو وصف شامل للّغة،وهو الصّوت،والنّظم،والدّلالة .

ولقد رأينا لـــمّـــا انحرف النّحويّون عن منهج الخليل وسيبويه،كيف انكمش مفهوم النّحو واختزل في الإعراب وتحوّل إلى صناعة لفظيّة تبتغي التّباهي بالبراعة

1 ـــــ ينظر عبد الفتاح لاشين : التّراكيب النّحويّة من الوجهة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجاني ص85

في تصريف الأفعال،واختراع القوالب ومزج النّحو" والنّظم هو محور كتاب الجرجاني ومناط بحثه وهو جوهر نظريته في الإعجاز وفي الخلق الأدبـــــــــــي على السّـــــــواء لذا أخذ منذ البدايّة يرسي مفهوم النّظم ويحدّده بما يقطع الشّك فيه وينفي اللّبس عنه".[1]

بالمنطق،وتطبيق أصوله عليه.

1 ـــــــــــــ بن شريف محمّد : نظريّة النّظم و أثرها في بلورة أدبيّة الإعجاز عند الجرجاني مجلّة الباحث:دورية أكاديميّة محكمة تصدر عن مخبر الدّراسات النّحويّة اللّغوية بين التّراث والحداثة،جامعة ابن خلدون، تيارت الجزائر،العدد الخامس، أفريل 2013 م،ص19

ويظهر من هذا الإقرار في هذا النّص،أنّ البحث القائم حول مفهوم النظّم هو الفلسفة اللّغويّة التّي يبنى عليها الكلام وليس غير النّظم الذّي يحدث تمييز الكلام وليس غير النّظم الذي يحدث تمييز الكلام ومنه الإعجاز الذي يتعلّق بالإبداع وأمّا قوله:"في الخلق الأدبي"فالمقصود به أنّ المنهج المتّبع في طريقة صناعة النّص الأدبي يبدأ بالتّعبير اللّغوي،وهو منهج طبيعي يعتمد على فهم اللّغة وفقهها لهذا يقول الدّكتـــــور محمّد مندور واصفا منهج الجرجـــــاني في توضيح أكثـــر:منهج عبد القاهر:المنهج الفقهي يستمّد حقيقته من مادّة درسه وهي الأدب والأدب عنده فنّ لغوي"[1].وممّا لاشّك فيه أنّ المقصود بالفنّ اللّغوي هو ذاك التّركيب والبناء والنّظم من الكلام مع مراعاة الاستعمال الجيّد لقواعد النّحو في التّرتيب اللّغوي من البداية بالفعل في الجملة ويتبعه الفاعل إذا كان الجملة اسمية،أو البداية بالاسم ثمّ ما يتبعها من اسم آخر أو فعل إذا كانت الجملة اسميّة ومن إتباع حالات الصّفات لمعاني الكلام من النّعت أو التّمييز أو الحال وغيرها.

وأمّا المصطلح:

فإنّ المصطلحات تجري عن لسان عبد القاهر وهي تتولّد عن نظريّة النّظم التّي يؤمن بها ويبني عليها جهده في النّحو والبلاغة والأدب عامّة ومن بين هذه

1ـــــ عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز:ص44.

المصطلحات:النّظم والبناء والتّرتيب والتّعليق ولعلّ النّص الجامع لهذه المصطلحات في سباق واحد هو قوله:

"أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتّى يعلّق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك"[1].

1_ النّظم

فقد حدّد النّظم في تفسيره لقضايا النّحو أثناء تناوله لأبوابه بأنّه ليس النّحو بمفرده كقاعدة من قواعد النّحو وإنّما القصد منه المعاني النّحويّة التّي تَحْدُثُ في نفس المتكلّم والمعاني تكون بواسطة الألفاظ التّي تترابط فيما بينها وتتعلّق ببعضها لتقوم بوظيفة التّعبير في سياق واحد وتركيب تامّ،من ذلك قيام "علاقة الإسناد بين المسند إليه والمسند وتصوّر علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به،وتصوّر علاقة السّببّة بين الفعل والمفعول لأجله هلُمَّ جرا".[2]

2_ البناء:

ومصطلح عنده يَعُدُّهُ فرعا تابعا للنّظم وعنصرا ضروريّا من عناصره والبناء عنده هو الذّي يُنظّم الألفاظ فتصبح مبنىً واحداً يتشكّل فيه السّياق الذّي يتضمّن المعنى والمبنى،ويرى عبد القاهر أنّ البناء للكلمات هو الذّي يوضّح دلالات الجمل ومثال

1ـــــ محمّد مندور:في الميزاد،دارنهضة مصرللطّبع والنّشر،القاهرة،د.ط,:1973م،ص193.

2-د.تمّام حسّان: اللّغة العربيّة معناها ومبناها:ص186.

ذلك:وجوه"الخبر"في النّحو العربي في الاستعمالات النّحويّة فيقول:

"وذلك أنا لانعلم شيئا يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التّي تراها في قولك:زيد منطلق وزيد ينطلق،وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو منطلق." (1)

ثمّ يضرب أمثلة عن"وجوه الشّرط" بقوله:

"وفي الشّرط والجزاء إلى الوجوه التّي تراها في قولك:إن تخرج أخرج وإن خرجتَ خرجتُ وإن تخرج فأنا خارج وأنا خارج إن خرجت وأنا إن خرجت خارج"(2)

وكذلك أمثلة في موطن الحال ووجوهه:بقوله:

"وفي الحال إلى الوجوه التّي تراها في قولك.جاءني زيد مسرعـــا وجاءني يسرع وجاءني وهو مسرع أو هو يسرع وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع فيعرف لكلّ من ذلك موضعه،ويجيء به حيث ينبغي له." (3)

1ـــــ عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز:ص64.

2ـــــ المصدر السّابق:ص64.

3ـــــــــالمصدر نفسه:ص64.

3_التّرتيب:

يقصد به عبد القاهر موقع الكلمات ووضعها في المكان الذّي يقتضيه علم النّحو إذ لكلّ لفظة في الجملة أو في الكلام عامّة لها رتبة خاصّة بها في العبارة،واللّافت للنّظر أنّ عبد القاهر لا يفصل في نظرية النّظم بين التّرتيب والتّركيب والتّـــأليف ولذلك فهو ينظر لهذا الأمر بقوله:

"والألفاظ لا تفيد حتّى تؤلّف ضربا خاصّا من التّأليف و يعمد بهـــا إلى وجه دون وجه من التّركيب والتّرتيب،فلو أنّك عمدت إلى بيت شعر،أو فصـــل نثر،فعددت كلماته عدّا كيف جـــــاء واتّفق،وأبطلت نضده ونظامه الذّي عليه بني،وفيه أفرغ المعنى وأجرى،وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد،وبنسقه أبان المراد[1].

ولا يقف عبد القاهر عند الجانب التّنظيري حول مصطلح التّرتيب بل يذهب إلى الجانب التّطبيقي لأجل البرهنة والتّفسير ويقدّم نموذجا حيّا من الشّعر العربي فيقول في افتراض مثالي:"نحو أن تقول في،قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل:

منزل قفا ذكرى من نبك حبيب"أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان،نعم

وأسقطت نسبته من صاحبه،وقطعت الرحم بينه وبين منشئه،بل أحلت أن يكون له

إضافة إلى قائل،ونسب يختصّ بمتكلّم،وفي ثبوت هذا الأصل ماتعلّم به أنّ المعنى

1ـــــ عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة:ص2.

الذّي له كانت هذه الكلم بيت شعر،أو فصل خطاب وهو ترتيبها على طريقة معلومة،وحصولها على صورة من التّأليف مخصوصة،وهذا الحكم أعني الاختصاص في التّرتيب يقع في الألفاظ مرتّبـــــا على المعاني المرتّبة في النّفس،المنتظمة فيهـــــا على قضية العقل،ولن يتصوّر في الألفاظ وجوب تقديم وتأخير،وتخصيص في ترتيب وتنزيل،وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركّبة".[1]

وفساد الكلام عنده يأتي سبب الخروج عن نظام ويظهر الأمر واضحا في هذا التّرتيب الفاسد "منزل قفا ذكرى"أنّه لا يمكن تحديد الفاعليّة ولا حسن الابتداء ولا الإضافة القائمة بين المضاف والمضاف إليه في أصل السّياق ذكرى حبيب ولا حسن تعلّق حرف الجرّ(من) بما يجاوره أو تعلّقه بالفعل إلى غير من المسائل النّظميّة.

4_التّعليق:

يهتم عبد القاهر بمصطلح التّعليق كثيرا ويكثر من استعمالاته له،ويجعله أساس نظريته وقد سبق التّركيز على فكرة التّعليق.من ذلك قوله:"ومعلوم أن ليس النّظم سوى تعليق الكلم بغضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض....." [2]

والتّعليق عنده يأخذ مفهوم التّظام كما هو الحال عند العلماء المعاصرين الذّين يرونـــــــــــــــــــــه

1_المصدر السّابق:ص**2**.

2- عبد القاهر الجرجاني : ص،ف

ضرورة لغويّة تعبيريّة يستدعيها نظام الكلام بكلّ أدواتها إذ أنّ هذه الأدوات تفتقر إلى التّظام مع بنائها أو تركيبها،لأنّها لا تستقلّ بنفسها وتقتضي دائما شيئا ينضم إليها فأدوات الجمل تفتقر إلى الجملة بعدها،وأدوات العطف لا تفيد إلاّ مع المعطـــوف ولا الجرّ إلا مع المجرور ولا الاستثناء إلاّ مع المستثنى ولا القسم إلاّ مع المقسم به،ولا واو المعيه إلاّ مع المفعول معه.فإنّ كلّ لفظة تتعلّق بلفظة أخرى سواء أكانت فعلا أم اسما أم حرفا لتكون لها قرينة فلنستدعيها بالضّرورة

لتكمل دعائم النّظم وأسسه،فالفاعل متعلّق بالفعل والجار بالمجرور متعلّقان بالفعل كذلك والخبر متعلّق بالمبتدإ....إلخ.[1]

إنّ هذه المصطلحات التّي عرضناها تسير وفق منهج محكم إلتزمه عبد القاهر الجرجاني في اكتشافه لنظريّة النّظم لأنّه مبني على العناية بالوظائف النّحويّة والوظائف اللّغويّة التي يهتمّ بها في دراسته لنظام اللّغة وأساليب التّعبير:"وهو يلتقي في هذا الجانب مع معظم الألسنيين المعاصرين الذين يعتبرون النّصّ الأدبي مدوّنة أو نظاما،ويعنون به أن كلّ شيء في هذا النّظام مترابط،ولا وجود للعنصر

1_ ينظر د.تامر سلّوم:نظرية اللّغة والجمال في النّقد العربي:ص90.

بمفرده إلاّ داخل العلاقات التي يقيمها مع غيره من العناصر؛ولذلك فإنّ استخراج القوانين المتحكّمة في العلاقات التي تحدثها هذه العناصر في بعضها يعني استخراج البنية أو البنيات التّي يتكون منها النظام " . (1)

وأساس هذا التّعبير للّغة لدى عبد القاهر الجرجاني أنّه يرى أنّ طبيعة تأليف الكلام وتنظيمه وبنائه وترتيبه وتعليقه ببعضه هو خضوعه لهذه المسائل كلّها في علاقة اللّغة بالفكر،وهو نفسه يعطي هذه الخلاصة في رؤيته فيقول:

"وجملة الحديث أنّا نعلم ضرورة أنّه لا يتأتّى لنا أن ننظم كلاما من غير رويّة وفكر".[2]

ثانيّا: أمثلة نموذجيّة في التّفسير النّحوي:

1_د محمّد عبّاس:الأبعاد الإبداعيّة في منهج عبد القاهر الجرجاني:ص67

2_ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص 98

1 * تقديم المفعول وتأخيره:

لعبد القاهر الجرجاني وقفات في تحليل قضايا نحويّة سبقه إليها النّحاة والبلاغيّون غير أنّ منهجه في التّحليل يختلف عن سابقيه في مقاصد التّفسير والتّعليل،وهو في كلّ ذلك ينبّه إلى استقامة الكلام علـــى النّحو الذّي يقتضيه العقل والمقام دون أن يذكر مصطلح النّظم فهو ذا ينتهج منهج النّحاة في عرض فكرة التّقديم والتّأخير ولكنّه يفضّلهم في الشّرح والتّبيين.

يقول:"وممّا ينبغي أن تعلمه أنّه يصحّ لك أن تقول:ما ضربت زيدا ولكنّي أكرمته؛فتعقب الفعل المنفي بإثبات فعل هو ضدّه ولا يصحّ أن تقول: ما زيدا ضربت ولكنّي أكرمته:وذاك أنّك لم ترد أن تقول: لم يكن الفعل هذا ولكن ذاك. ولكنّك أردت أنّه لم يكن المفعول هذا ولكن ذاك،فالواجب إذن أن تقول:ما زَيْدًا ضربت ولكن عمرا:وحكم الجار مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم

المنصوب فإذا قلت:ما أمرتك بهذا:كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك و لم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر،وإذا قلت:ما بهذا أمرتك:كنت قد أمرته بشيء غيره.[1]

1_المصدر السّابق:ص276.

1- التّعبير السّليم:

ففي الجملة الأولى في الكلام الذّي يراه صحيحا هي "ما ضربت زَيْدًا ولكنّي أَكْرَمْتُهُ"فالمنفي هنا هو الفعل وهو بلغة تفسيريّة نفي الحدث والتّعقيب الذّي جاء بعد نفي الحدث هو الإثبات بضدّه هو جملة "أَكْرَمْتُهُ" التّي احتوت على فعل وفاعل ومفعول به.

2- التّعبير غير السّليم:

وأمّا قوله في الجملة الثّانية وهي"ما زيدا ضربت ولكنّي أكرمته"فالنّفي في ظاهره واقع على الاسم في محاولة نفي الضّرب وهو(زيدا) لكنّ التّوهم في الفعل ثابت وهو الحدث،فإن لم يكن الضّروب زيدا فهو آخر وهذا تفسير عبد القاهر بقوله "ولكنّك أردت أنّه لم يكن المفعول هذا ولكن ذاك".فالاستقامة في الكلام

الصّحيح هو الإبقاء على حقيقة النّفي بإثباتها في تقديم المفعول المنفي وإثبات الضّرب في صيغة التّدارك." ... ولكن عمرًا".أمّا قوله في تحديد دلالة العبارة "مَا أَمَرْتُكَ بهذا"فالعبارة هنا تتوقّف على معنى النّفي لهذا الأمر ولا يفهم منه:الأمر بشيء غيره أي آخر،وأمّا إذا جاءت الصّيغة على وجه التّعبير وهي"ما بهذا أمرتك" فهو نفي للموجود "هذا" وأمر بشيء غيره.وتحديد هذا التّوجيه النّحوي لدى الجرجاني يستند في أصله إلى دلالة معاني النّحو في صيغتها المختلفة ومنها باب التّقديم والتّأخير والنّفي،وهو موضوع شائك يكاد يكون فلسفة اللّغة العربيّة عامّة والنّحو العربي خاصة،هو كيفيّة التّعبير النّحوي في تحقيق المعاني؛ويظهر من هذا التّصحيح للتّراكيب النّحويّة التّي تمثّل بها عبد القاهر الجرجاني أنّه يعتمد على فكرة ترتيب المعاني التّي تخضع في الأساس إلى ترتيبها في الذّهن أو في النّفس،قبل أن تخرج ألفاظا،وهو يرمي إلى أبعاد عميقة كما يقول:"وأمّا نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنّك تقتفي في نظمهـــا آثار المعني وترتبهـــــا على حسب ترتيب المعاني في النّفس،فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض،وليس هو النّظم الذّي معناه ضمّ الشّيء كيف جاء واتّفق".[1]

إلى أن يقول:"ودليل آخر هو أنّه لو كان القصد بالنّظم إلى اللّفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النّفس ثمّ النّطق بالألفاظ على حذوها لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النّظم أو غير الحسن فيه لأنّهما يحسان بتوالي الألفاظ في النّطق إحساسا واحدا ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر.[2]

ب- حذف المفعول به:

يميل عبد القاهر الجرجاني إلى فكرة الإضافة في التّفسير النّحوي الممزوج بالذّوق البلاغي،ويعلّق على بعض القضايا التّي تأتي في الحذف وينظر إليها من جهة الإعراب، كمسألة حذف المفعول به، فيقول:"وإن أردت أن تزداد تبيينا لهذا

1ـــــــ المصدر السّابق:ص 40.

2ـــــــــ المصدر نفسه:ص42.

الأصل أعني وجوب أن تسقط المفعول لتتوفّر العناية على إثبات الفعل لفاعله

ولا يدخلها شوب فانظر إلى قوله تعالى:"وَلَـــمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَانِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ،فَسَقَى لَهُمَا ثـــُـــمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ."[1] ثمّ يُعيّنُ عبد القاهر الجرجاني طبيعة هذا الحذف الذّي تمّ في المقاصد الدّلاليّة فيقول:

"ففيها حذف مفعول في أربعة مواضع إذ المعنى وجد عليه أمّة من النّاس يسقون أغنامهم أو مواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما.ثمّ أنّه لا يخفى على ذي بصر أنّه ليس في ذلك كلّه إلّا أن يترك ذكره

ويؤتى بالفعل مطلقا وما ذاك إلاّ أنّ الغرض في أن يعلم أنّه كان من النّاس في تلك الحال سقى ومن المرأتين ذود وأنّهما قالتا:لا يكون مناسقى حتّ يصدر الرّعاء:وأنّه كان من موسى عليه السّلام من بعد ذلك سقى.فأمّا ما كان المسقيُّ أغناما أم إبلاً أم غير ذلك فخارج عن الغرض وموهم خلافه،وذاك أنّه لو قيل:وجد من دونهم امرأتين تدودان غنمهما:جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم حتّى ولو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود".[3]

ولعلّ عبد القاهر أراد بقوله بلفظة"ففيها"أي الآية،ظنًّا منه بأنّها آية واحدة بينما هما آيتان من سورة القصص إذ الأولى تنتهي عند قوله تعالى:{شَيْخٌ كَبِيرٌ}.

1_ سورة القصص:الآية:23،24.

2_المصدرالسّابق:ص.124.

3-الآية 24 كما وقع في تحقيق الكتاب للفظة " امرأتين

والثّانيّة ذكر منها نصفها و لم يُتِمَّهَا وهي:"فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٍ."[1]ويُفسِّرُ عبد القاهر على قياس الأمثلة مثالا آخر ليبيّن ما سبق فيقول:"كما أنّك إذا قلت:مالك تمنع أخاك؟ كنت مُنْكِرًا المنع لا من حيث هو منع بل من حيث هو منع أخ فاعرفه تعلم أنّك لم تجد لحذف المفعول في هذا النّحو من الرّوعة والحسن ما وجدت إلا لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة وأنّ الغرض لا يصحّ إلاّ على تركه".[2]وممّا يجب

الوقوف عليه في مثل هذا التّفسير النّحوي عند عبد القاهر الجرجاني أنّه ينتقل دائما من التّعليل النّحوي إلى الاستعانة بالتّفسير البلاغي وهو الأمر الذّي آمن به في فكرة النّظم.كما الحال فيه منهج الزّمخشري في تفسيره للظّواهر النّحويّة بإتّباعه لمنهج عبد القاهر لفكرة النظم وقد يقع الزّمخشري في كثير من الأحيان في عمليّة الاقتباس من كلام عبد القاهر الجرجاني، وهو الأمر الذّي وجدناه عنده في تفسيره للآيتين السّابقتين من جهة النّحو وخاصّة عند حديثه عن المحذوف وتعليله البلاغي حذف المفعول به غير مذكور في قوله يسقون و تذودان و لا نسقي؟قلت لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنّه إنّما رحمهما لأنّهما كانتا على الذياد وهم على السّقي و لم يرحمهما لأن مذودهما غنم،ومَسْقِيَهُمَا إبل مثلا،وكذلك قولهما لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ المقصود فيه السَّقْيُ لا المَسْقِيُّ.(3)

1_الآية 25 خطأ:إذ جاءت بالرّفع"إمرأتان".

2_ عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز:ص124،125.

3_الزّمخشري:الكشّاف:ج3،ص170،171.

خاتمة

ساقني البحث في آثار عبد القاهر الجرجاني إلى الوقوف على قضايا معرفيّة جعلتني استظهر نتائج معيّنة خَلُص إليها الاستنباط حسب الظّن العلمي في التّحديدات التّالية:

أوّلا:إنّ التّوجيه النّحوي عند عبد القاهر الجرجاني يقوم على دعائم تاريخيّة تثبت لشخصيّة عبد القاهر جهوده الهامّة والواسعة في الدّراسات النّحويّة واللّغويّة التّي أوصلته إلى تأسيس نظريّة النّظم التّي جعلها تنطلق أوّلا من علم النّحو،ووصل بها إلى علم توخّي معاني النّحو،وربطها بالقضايا البلاغيّة والفكريّة والذّوقيّة،وتعدّ هذه الرّؤية جديدة لديه بالنّسبة لسابقيه.

ثانيّا:يتحدّد التّوجيه النّحوي في اجتهادات عبد القاهر الجرجاني في كون النّحو أصلا من أصول تعليم العربيّـــة ولسانها،وهو نفسه يستند في أصله إلى إعطاء دلالة المعاني أثناء تركيب الكلام وتأليفه في صيغه النّحويّة المختلفة حيث إنّ مقاصد الكلام لا تتّم إلاّ بإظهار المعاني،وإنّ كيفيّة التّعبير عن هذه المعاني لا تتحقّق إلاّ بتحقيـــق استعمال قواعد النّحو وأساليبه كما هو الحال في الابتداء والإخبار،والفاعليّة والمفعوليّة،والسّببيّة في التّقديم والتّأخير هذه العمليّة كلّها يقرّرها فيما يسمّيه توخّي معاني النّحو عن طريق النّظم.

ثالثا:إنّ عبد القاهر الجرجاني يؤكّد في تفسيره لعلم النّحو أنّ فكرة ترتيب المعاني هي الخاضعة في الأســـاس إلى ترتيبها في الذّهن أو في النّفس،قبل أن تخرج ألفاظا،وهذه العمليّة في ذاتها،يرمي بها إلى أبعاد عميقة يتبيّن منهــــــا أنّ اللّغة

عنده هي نظام قائم على البناء،ويستنتج من ذلك أنّ فكرة النّظم مشتقّة في أصولها من لفظة النّظـــــــــــــــــــــــام ودلالاته.

رابعا:أمّا ما يتعلّق بالمصطلح عنده فإنّه يتّسع لما حددّه السّابقون من النّحاة واللّغويين فقد ربطه عبد القاهر بتسمية اصطلاحيّة هي النّظم والنّظم عنده يرتكز على تأليف الكلام وبنائه على أسس العوامل النّحويّة التي،هي ذاتها على ألفاظ التي لا تخرج بالضّرورة عن تقسيم الكلم إلى اسم وفعـــل وحرف وهذه الألفاظ الثّلاثة هي التي تصنع المعنى،والمعنى لا يتمّ إلاّ بالصّناعة النّحويّة التي تسند أساسا على علاقات الألفاظ القائمة بين مكوّنات الكلام الذي يُنْتِجُ المعنى؛والصّناعة النّحويّـــة عنده للكلام تظهر في مصطلحاته هي التّعليق والبناء والتّركيب والتّأليف وهي مصطلحات تتناسب في دلالتها وتقترب من المصطلح المحوري وهو النّظم.

وأمّا المنهج فهو يتميّز عند عبد القاهر بطريقتين متباينتين إحداهما طريقة الموافقة بالسّير على نهج السّابقين في إتباع كلّ القواعد النّحويّة ممّا حقّقه السّابقون من معيارية النّحو العربـــي،في قوانينه العامّة في فكرة العوامل النّحويّة كقضايا الصّفات التي يمرّ بها الكلام كثبوت حالات الرّفع،والنّصب،والجرّ في الأسماء،والرّفع والنّصب والجزم في الأفعال وحالات المعرب والمبني وغيرها،ولم تدع طريقة الموافقة لعبد القاهر مجالا للزّيادة أو الإضافة إلى جهود السّابقين شيئا ذا أهميّة غير عمليّة الشّرح والتّفسير و التّبين لما ذهب إليه الأوائل الذين سبقوه في الطّـــرح والاجتهاد.

وأمّا الطّريقة الأخرى فهي طريقة المخالفة وفيها يقع التّمييز بين منهج الإتّباع وهو الطّريقة الأولى ومنهج الإبداع الذي هو الطّريقة الثّانيّة التي يبتغي من ورائها

خاتمة

النّحو العربي من قيـــود القواعد التي تنفرد به لوحده وتعمل على حصره في مسائل الإعراب ودراسته على انفراد بمعزل عن العلوم الأخرى فقد سعى عبد القاهر إلى نقله إلى مجال أوسع وأرحب في اتّصاله بالبلاغة والتّفسيـــر والدّراسة الأدبيّة والذّوقيّة.

قائـــــمة المـــــصادر و المراجـــــــع

* القرآن الكريم برواية ورش.

أوّلا:الكتب باللّغة العربيّة:

أ – المصادر:

الجرجاني عبد القاهر

1-أسرار البلاغة

قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمّد شاكر دار المدني،القاهرة وجدّة،ط[1]،1412هـ،1991م.

2-أسرار البلاغة

تحقيق السيد محمد رشيد رضا ، القاهرة ، ط[6] ، 1379 هـ،1959 م.

3-الجمل

تحقيق علي حيدر ، دمشق ، د.ط، 1392هـ ، 1972م.

4-دلائل الإعجاز

تحقيق محمد التجني ،دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ،ط[1]، 2005م.

5- دلائل الإعجاز

تحقيق محمد رضوان الداية و فايز الداية ، دار قتبة ، ط[1]، 1403هـ، 1983م

6- الرسالة الشافية

(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)

تحقيق محمد خلف الله أحمد و الدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط.دت .

7 – شرح التكملة

المكتبة الظاهرية بدمشق ، د.ط.د.ت.

8- العوامل المائة

تحقيق أحمد بن علي استانبولي : مراح وغري ، مكتبة ايشيق ، استانبول ، تركية ، 1399هـ ، 1979م.

9- المفتاح في الصرف

تحقيق : د.علي توفيق أحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د.ط، 1987م.

10- المقتصد في شرح الإيضاح

تحقيق : كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، د.ط ، 1982م.

ب – المراجع :

- ابن الأنباري : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد.

11- نزهة الألباء في طبقات الأدباء

تحقيق : إبراهيم السّامرائي ، بغداد ، د.ط، 1959م.

- إبراهيم : مصطفى و جماعته

12 – المعجم الوسيط ، مصر ، د.ط ، 1961م.

- أبو الطيب اللغوي : عبد الواحد بن علي

13 – مراتب النحويين

المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط[1]، 2002م.

- أدونيس (علي أحمد سعيد)

14- الشعرية العربية

بيروت ، لبنان ، دار الآداب ، ط[2]، 1989م.

- الأسنوي : جمال الدين

15- طبقات الشافعية

تحقيق عبد الله الجبوي ، بغداد ، د.ط ، 1390هـــ، 1970م .

- الأفغاني ، سعيد

16- في أصول النحو

دار الفكر ، د.ط.1964م.

- أمين ، أحمد

17-ضحى الإسلام

دار الكتاب العربي : بيروت ، لبنان ، ط[1]، 2005م.

18- ضحى الإسلام

دار الكتاب العربية ، بيروت ،ط [10] ، د.ت.

- الباخزري : أبو الحسن علي بن الحسن بن علي

19- دمية القصر و عصرة أهل العصر

تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار الفكر العربي بمصر ، د.ط، د،ت .

- بدوي : أحمد أحمد

20- عبد القاهر الجرجاني و جهوده في البلاغة العربية

المؤسسة المصرية العامة ، ط 2 ، د.ت.

- البديعي : يوسف

21- الصّبح المنبي عن حيثية المتنبي

تحقيق مصطفى السقا و محمد شتا و عبده زيادة عبده ، دار المعارف ، د.ط.القاهرة ، 1963م.

- بروكلمان : كارل

22- تاريخ الأدب العربي

ترجمة الدكتور : رمضان عبد التّواب ، ط2، د.ت.

- البعلي : محمد بن أبي الفتح

23-الفاخر في شرح جمال عبد القاهر

دار الكتب المصرية ، د.ط، د،ت.

- البغدادي ،اسماعيل

24- هدية العارفين ، أسماء المؤلفين و آثار المصنفين

استانبول ، د.ط، 1951م.

- البغدادي : عبد القادر بن عمر

25- خزانة الأدب و لب لسان العرب على شواهد شرح الكافية ، مصر ، مطبعة بولاق ، ط[1] ، د.ت.

- بلعيد : صالح

26- الإحاطة في النحو

ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ط ، 1994م.

27- التراكيب النحوية وسياقتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني

ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر ، د.ط.1994م.

28-في قضايا فقه اللغة

ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، د.ط، 1995م.

- تمام : حسان

29- الأصول

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، 1982م.

30- اللغة معناها و مبناها

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط[2] ، القاهرة 1979م

31- مناهج البحث في اللغة

مكتبة الأنجلوالمصرية ، د.ط ، 1955م

- جاد الكريم : عبد الله أحمد

31- النحو العربي عماد اللغة و الدين

مكتبة الآداب ، مصر ، د.ط، 1422هـــ ، 2002م.

-جاسم سعيد الزبيدي

33- القياس في النحو العربي (نشأته و تطوره)

دار الشروق ، د.ط ، 1997م.

- جرار شذى

34-موازنة بين مذهبي الباقلاني و الجرجاني في كتابيهما :

إعجاز القرآن و دلائل الإعجاز .أمانة عمان ، عمان ، الأردن ، ط[1]، 2005م.

- ابن جني : أبو الفتح عثمان

35- الخصائص

تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، ط[2]، د.ت.

36- سر صناعة الإعراب

تحقيق : السقا و آخرين ، القاهرة ، د.ط ، 1954م.

- الحاجي خليفة

37- كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون ، طهران ، ط3 ، 1387هـ، 1967م.

- الحنبلي : عبد الحي بن العماد

38- شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

القاهرة ، د.ط.1350هـ.

- ابن خلكان

39- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان

تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ط . د،ت.

40- وفيات الأعيان

تحقيق : محمد محي الدين ، د،ط،د،ت.

-الخوانساري : محمد بافر الموسري الأصبهاني

41- روضات الجنات في أحوال العلماء و السادات

تحقيق : أسد الله ، اسماعيليان –إيران ، د.ط،د،ت.

- دك الباب : جعفر

42- الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعني

مطبعة الجليل ، دمشق ، سوريا ، د.ط، 1960م.

- ديرة أحمد

43- دراسة في النحو الكوفي

دار قتيبة ، ط[1] ، بيروت ، 1991م.

- الراجحي عبده

44- دروس في المذاهب النحوية

دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، د.ط ، د.ت .

- الزبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن

45- طبقات النحويين و اللغويين

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف ، مصر ، د.ط، د،ت.

- الزركلي : خير الدين

46- الأعلام

القاهرة ،ط[2] ، د،ت.

- الزمخشري : جار الله محمود بن عمر

47- أساس البلاغة

دار صادر ، بيروت ، د.ط، 1979م.

48- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل

تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، و علي محمد عوض .

مكتبة العيكان ، الرياض ، د،ط ، 1998م.

- سالم مكرم عبد العال

49- القرآن و أثره في الدراسات النحوية

دار المعارف ، مصر ، د.ط،د ت.

50- المدرسة النحوية في مصر و الشام

مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1990م.

- السامرائي : إبراهيم عبود

51- المدارس النحوية : أسطورة و واقع ،

دار الفكر للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 1987م.

52- المفيد في المدارس النحوية

دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1427 هـــ ، 2007م.

- السبكي : تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي

53- طبقات الشافعية الكبرى .

تحقيق : محمود محمد الطناجي و عبد الفتاح محمد الحلو .

القاهرة ، د.ط ، 1386 هـــ، 1967 م.

- ابن السراج : أبو بكر محمد

54-الأصول في النحو

تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، د.ط ،د ت.

- سلام محمد زغلول

55- أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى أواخر القرن الرابع الهجري ،

دار المعارف ، القاهرة ، د ت.

-سلوم تامر

56- نظرية اللغة و الجمال في النقد الأدبي

دار الحوار للنشر و التوزيع ، سوريا ، ط 1 ، 1983م.

-سيبويه: أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر

57- الكتاب

تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ط1، 1991م

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان

58- الاقتراح في أصول النحو

تعليق: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1426ه، 2006م

59- بغية الوعاة في طبقات اللفوبيين و النحاة

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، د.ط، 1384ه، 1965م

60- المزهر في علوم اللفة

شرح و ضبط: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، بيروت، د.ط، 1406ه، 1986م.

61- همع الهوامع: شرح جمع الجوامع في علم العربية

بيروت، د.ط، د.ت

- شامي أحمد جميل

62- النحو العربي: قضاياه و مراحل تطوره

دار الحضارة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1418ه، 1997م.

- الضامن: حاتم صالح

63- نظرية النظم، تطور و تاريخ

منشورات وزارة الثقافة و الأعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، د.ط، 1979م

- ضيف شوقي

64- المدارس النحوية

دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1972م

- طاش لحبري زادة

65- مفتاح السعادة و مصباح السيادة

تحقيق: كامل بكري و عبد الوهاب أبو النور، القاهرة، د.ط، د.ت

- الطنطاوي محمد

66- نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة

دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1995م

- عباس محمد

67- الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة دار الفكر، دمشق، ط1، 1999م

- عبد الحسين محمد، رشيد عبد الرحمان، طارق عون

68- تاريخ العربية

د.ط، د.ت

- ابن عساكر

69- تهذيب تاريخ دمشق الكبير

هذبه و رتبه: عبد القادر بدران، بيروت، د.ط، د.ت

- علامة طلال

70- تطور النحو العربي في مدرستي البصرة و الكوفة

دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993م

- ابن فارس ابن زكريا الرازي أبي الحسين أحمد

71- معجم مقاييس اللغة

وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين

منشورات محمد علي بيضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420ه، 1999م

- فريحة أنيس

72- نظريات في اللغة

الألسنية الثالثة، ط2، 1981م

- الفيروز أبادي

73- القاموس المحيط

قدم له و علق على حواشيه: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428ه، 2007م

- قطبي الطاهر

74- التوجيه النحوي للقراءات القرآنية (في سورة البقرة)

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت

- القفطي: جمال الدين علي بن يوسف

75- انباه الرواة على أنباه النحاة

تحقيق: محمد أبي الفضل، مطبعة دار الكتب المصرية، د.ط، 1952م

- الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد

76- فوات الوفايات

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، د.ط، 1951م

77- فوات الوفايات

بولاق، مصر، د.ط، د.ت

- لاشين عبد الفتاح

78- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني

دار المريخ، الرياض، د.ط، د.ت

- المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد

79- المقتضي

تحقيق: عبد الخالق عضيمة، القاهرة، د.ط، 1384ه

- المخزومي: مهدي

80- مدرسة الكوفة

تحقيق: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1958م

- مراد وليد محمد

81- نظرية النظم و قيمتها العلمية في الدراسات اللغوية

دار الفكر بدمشق، سوريا، ط1، 1403ه، 1983م

- مرتاض عبد الجليل

82- العربية بين الطبع و التطبيع

ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1993م

83- الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية

دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 2009م

84- في رحاب اللغة

ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2007م

85- في عالم النص و القراءة

ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2007م

- المرجان: كاظم بحر

86- كتاب المقتصد في شرح الإيضاح

منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، العراق، دار الرشيد للنشر، 1982م

- مطلوب أحمد

87- عبد القاهر الجرجاني: بلاغته و نقده

وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1973م

- المناوي أحمد

88- فيض القدير: شرح الجامع الصغير

ط1، 1356ه، 1938م

- مندور محمّد:

89_ في الميزاد.

دار نهضة مصر للطّبع والنّشر.القاهرة.د.ط,1973م.

_ ابن منظور: أبو الفضل

90- لسان العرب

دار صادر، دار بيروت للطباعة و النشر، د.ط، 1956م

- الميمني: عبد العزيز

91- المختار من دواوين المتنبي و البحتري و أبي تمام

مطبوع في كتاب الطرائف الأدبية، د.ط، القاهرة، 1937م

- ابن النديم: أحمد بن إسحاق

92- الفهرست

تحقيق: مصطفى الشويعي، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1406ه، 1985م

- ياقوت الحموي: شهاب الدين

93- معجم الأدباء

دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت

94- معجم البلدان

دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت

ثانيا: الكتب باللغة الأجنبية:

- Noam chomshy

- structures syntaxiques59

Traduit de l'anglais par Michel Braudeau_ eds de seuil 1969.

ثالثا: الرسائل الجامعية

-ابليه عبد العزيز

96- الاحتجاج النحوي بالقران الكريم في "الكتاب"

إشراف الدكتور: عبد الجليل مرتاض

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في أصول النحو العربي، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة تلمسان، أبو بكر بلقايد، الجزائر، 1419ه، 1998م

- توامة: عبد الجبار

97- القرائن المعنوية في النحو العربي

رسالة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، 1994م، 1995م

- علواش: آمنة

98- النظرية البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني و الأسلوبية

إشراف الدكتور: جعفر دك الباب

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في النقد و البلاغة، معهد اللغة و الأدب العربي، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1410ه، 1990م

رابعا: المجلات

- بن شريف محمد

99- نظرية النظم و أثرها في بلورة أدبية الإعجاز عند الجرجاني

مجلة الباحث، دورية أكاديمية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات النحوية و اللغوية بين التراث و الحداثة

جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، العدد الخامس، أفريل 2013م

- عباس محمد

100- أدبية التفسير عند عبد القاهر الجرجاني

حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية و العلمية، تصدرها جامعة وهران، الجزائر، العدد 3، 1996م

- سيد عبد الفتاح حجاب

101- نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني و صلتها بقضية اللفظ و المعنى

مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، العدد التاسع،

1399 ه، 1979م.

مقدّمة:.....أ

الفصل الأوّل:

الدّراسات العلميّة لدى عبد القاهر الجرجاني

أوّلا:حياة عبد القاهر الجرجاني :.....ص02

1 ـــــــ نشأته ص02

2 ـــــــ منزلته.....ص 03

3 ـــــــ أدبه.....ص04

4 ـــــــ شيوخه.....ص 09

5 ـــــــ تلاميذه.....ص 11

6 ـــــــ وفاته.....ص 12

ثانيا:الدّراسات القرآنية :.....ص12

1 ـــــــ كتاب شرح الفاتحة.....ص 12

2 ـــــــ درج الدّرر في تفسير الآي والسّور.....ص 13

3 ـــــــ المعتضد ص13

4 ـــــــ الشّرح الصّغير.....ص 14

5 ـــــــ الرّسالة الشّافية.....ص 14

ثالثا:الدّراسات البلاغيّة :.....ص 15

1 ـــــــ دلائل الإعجاز.....ص 15

2 ـــــــ أسرار البلاغة.....ص 16

3 ـــــــ المدخل في دلائل الإعجاز.....ص 20

4 ـــــــ آراء الجرجاني ص20

رابعا : الدّراسات النّحويّة :.....ص 21

1 ـــــــ الإيجاز.....ص 21

2 ـــــــ المغني ص21

3 ـــــــ المقتصد ص22

4 ـــــــ التّكملة

.....ص22

5 ـــــــ العوامل المائة

.....ص23

6 ـــــــ الجمل.....ص 24

7 ـــــــ التّلخيص.....ص 25

خامسا : الدّراسات الصّرفيّة :.....ص26

1 ـــــــ العمدة في التصريف.....ص 26

سادسا : الدّراسات العروضيّة :.....ص26

1 ـــــــ كتاب في العروض.....ص27

سابعا : الدّراسات الأدبيّة :.....ص27

1 ـــــــ المختار من دواوين المتنبّي والبحتري وأبي تمّام.....ص 27

ثامنا: دراسات متنوّعة :.....ص28

1 ـــــــ التّذكرة.....ص 28

2 ـــــــ المفتاح ص29

3 ـــــــ المسائل المشكلة.....ص 30

الفصل الثّاني :

عبد القاهر الجرجاني بين النّحاة وموقفه منهم :

أوّلا : النّحو عند سابقيه.....ص 31

1 ـــــــ النّحو عند البصريّين:.....ص 35

أ ـــــــ الخليل.....ص 36

ب ـــــــ يونس بن حبيب.....ص 37

ج ـــــــ سيبويه
.....ص40

د ـــــــ أبو الحسن الأخفش.....ص 41

ه ـــــــــ أبو عثمان
المازني.....ص 42

و ـــــــــ أبو العباس
المبرّد.....ص 43

ز ـــــــ
الزّجاج.....ص44

2 ـــــــــــ مصادر الدّراسة عند البصريّين
:.....ص45

أ ـــــــــ القرآن
الكريم.....ص 45

ب ـــــــ الشّعر الجاهلي والإسلامي.....ص
46

ج ـــــــــ القياس
.....ص47

3 ـــــــ النّحو عند الكوفيّين
:.....ص48

أ ـــــــــ الكسائي.....ص
49

ب ـــــــ الفراء.....ص
50

ج ـــــــ ثعلب.....ص
51

4 ـــــــــ مصادر الدّراسة عند الكوفيّين
:.....ص52

أ ـــــــــ لغات
الأعراب.....ص53

ب ـــــــــــ الشّعر
العربّي.....ص 54

ج ـــــــــــ
القراءات.....ص55

ثانيا :آراء الجرجاني في النّحاة :.....ص56

1 ـــــــ الخليل.....ص
57

2 ـــــــــ يونس بن
حبيب.....ص57

3 ـــــــ سيبويه.....ص
59

4 ـــــــ أبو الحسن الأخفش
.....ص61

5 ـــــــــ أبو عثمان
المازني.....ص 62

6 ـــــــ أبو العبّاس
المبرد.....ص63

7ـــــــــ
الزّجاج.....ص 64

8 ــــــــ
الكسائي.....ص 65
9ــــــــ
الفرّاء.....ص 66
10 ــــــــ ثعلب.....ص 67
11ــــــــ أبو عليّ
الفارسي.....ص 68
12ــــــــــ شيخه أبو الحسين
الفارسي.....ص 72

الفصل الثّالث :

المنظور النّحوي لدى عبد القاهر الجرجاني

أوّلا : توجيهه للنّحو:.....ص79
1 ــــــــ منهج الموافقة (كتابه العوامل المائة)..... ص 79
2 ــــــــ منهج المخالفة (علاقة النّحو
بالبلاغة).....ص 85
ثانيّا : تأسيسه نظريّة النّظم :.....ص88

1 ـــــــــ النّظم بين اللّغة
والاصطلاح.....ص89

2 ـــــــــ أوّليات الإشارة إلى فكرة النّظم.....ص
90

3 ـــــــــ عبد القاهر الجرجاني يشكّل نظريّة
النّظم.....ص93

الفصل الرابع :

عبد القاهر الجرجاني بين المنهج والمصطلح :

أوّلا:منهجه في النّحو.....ص 108

1 ـــــــــ المنهج التّقليدي والمصطلح النّحوي
عنده:.....ص108

أ ـــــــــ الاسم والفعل والحرف ودلالة
الكلمة.....ص108

ب ـــــــــ أقسام الفعل ودلالته على الأزمنة.....ص
109

2 ـــــــــ المنهج التّجديدي والمصطلح النّحوي عنده :.....ص111

أ ـــــــــ المعنى النّحوي.....ص 111

ب ـــــــــ التّناسق بين النّحو والنّظم.....ص115

المصطلح:.....ص121

1_ النّظم.....ص122

2_ البناء.....ص122

3_ التّرتيب.....ص124

4_ التّعليق.....ص 125

ثانيا :أمثلة نموذجيّة في التفسير النّحوي:.....ص 127

1 ـــــــــــ تقديم المفعول به
وتأخيره.....ص128

2 ـــــــ حذف المفعول به.....ص130

خاتمة.....ص133

قائمة المصادر والمراجع.....ص142

فهرس الموضوعات.....ص 161